فضيلة الشيخ

عبد الحميد كشك

فتاوى شرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولى الصالحين، وأشهد أن نبينا وعظيمنا وحبيبنا محمد رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين صلى اللهم وسلم وبارك على هذا النبى الأمين، وعلى آله وصحابته الغر الميامين، وارحم اللهم مشايخنا ووالدينا وأمواتنا وأموات المسلمين أجمعين .

أما بعد ؛

فإننى أسأل الله تعالى التوفيق والسداد، والهدى والرشاد، لى ولجميع المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، وإننى إذ أقدم هذا الكتاب أشعر بالمسئولية أمام الله تبارك وتعالى وذلك لأننى أجيب فيه عن أسئلة وردت إلىّ من الإخوة المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها يسألون ويستفتون ومن حقهم أن يسألوا ومن واجبى أن أجيب ، وهكذا أمر الله تعالى بسؤال أهل الذكر فقال : ﴿ **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** ﴾ [1] .

والناس بخير ما تناصحوا ، ومفتاح العلم السؤال، وشفاء الصدر بالاستفتاء ، ولا يضيع العلم إلا بين الكبر والحياء ، فالناس إما متكبر يمنعه كبره أن يتواضع فيسأل ، وإما أن يمنعه حياؤه أن يسأل فيُحرم العلم .

والفتوى فى الإسلام مسئولية كبرى لأن المفتى إنما يوقع عن الله تبارك وتعالى، فهو فى فتواه يجب أن يكون صريحًا فى الحق قويًا لا يخشى فى الله لومة لائم ، كما يجب أن يصدر عن علم ودراية بالكتاب والسنة،وكيف لا وقد ورد فى سنن أبى داود من حديث مسلم بن يسار قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ : «من قال علىّ مالم أقل فليتبوأ بيتًا فى جهنم ، ومن أفتى بغير علم فعمل بفتواه كان إثمه على من أفتاه ، ومن أشار على أخيه بأمر يعلم الرشد فى غيره فقد خانه» .

(١) سورة الأنبياء : الآية ٧ .

وعن على رضى الله عنه عن النبى ﷺ ، قال ﷺ : « من أفتى بغير علم **لعنته ملائكة السموات والأرض** » .

وقال الخليل بن أحمد :

الرجال أربعة :

رجل يدرى ويدرى أنه يدرى فذلك عالم فاسألوه .

ورجل يدرى ولا يدرى أنه يدرى فذلك غافل فنبهوه .

ورجل لا يدرى ويدرى أنه لا يدرى فذلك جاهل فعلموه .

ورجل لا يدرى ولا يدرى أنه لا يدرى فذلك مكابر فامقتوه.

ومن ثم فإن الأئمة الأخيار وقفوا من الفتوى موقف الأمانة والحذر ، فاسمع معى إلى ما قاله الإمام الشافعى رضى الله عنه :

« لا يحل لأحد أن يفتى فى دين الله إلا رجلاً عارفًا بكتاب الله تعالى ، بصيراً بحديث رسول الله ﷺ ، بصيراً باللغة الفصحى والشعر الجيد وما يحتاج إليه منهما فى فهم القرآن والسُّنة ، ويكون مع هذا مشرفًا على اختلاف علماء الأمصار وتكون له قريحة وقَّادة ، فإذا بلغ هذه الدرجة فله أن يفتى فى دين الله تعالى ويبين الحلال والحرام ، وإذا لم يكن هكذا فليس له أن يفتى » .

وقيل ليحيى بن أكثم :

متى يحل للرجل أن يفتى ؟

فقال :

إذا كان بصيراً بالرأى بصيراً بالأثر ، يريد بالرأى : فهم معانى النصوص وعللها الصحيحة التى ناط الشارع بها الأحكام ، ويريد بالأثر : السنة الثابتة عن الرسول ﷺ .

روى عن عبد الرحمن بن أبى ليلى وهو من كبار التابعين أنه قال :

أدركت عشرين ومائة من أصحاب رسول الله ﷺ ما منهم رجل يسأل عن شىء إلا ودَّ أن أخاه كفاه ولا يحدث حديثًا إلا ودَّ أن أخاه كفاه .

بل كان من السلف من يخاف من الإفتاء ويندم لصدوره منه .

قال سحنون يومًا :

إنا لله ما أشقى المفتى والحاكم ها أناذا يُتعلم منى ما تضرب به الرقاب وتؤخذ به الحقوق ، أما كنت عن هذا غنيًا .

وقد عرف المفتون فى الصدر الأول خطورة هذا المنصب وأنه المنصب الذى تولاه الله تعالى بنفسه فقال تعالى : ﴿ **ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم فى الكتاب** ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ **يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة** ﴾ (٢) .

فقاموا بحقه على غاية من الحذر والخوف من الله تعالى .

لقد علموا أن أول من قام بالفتوى عن الله سبحانه وتعالى نبيه ومصطفاه صلوات ربى وسلامه عليه فقد كان يفتى بطريق الوحى المعصوم ثم خلفه بعض أصحابه الصادقين الأتقياء فكانوا كما وصفهم العلامة ابن القيم :

(عسكر القرآن ، وجند الرحمن)

ألين الأمة قلوبًا ،وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، وأحسنها بيانًا ،وأصدقها إيمانًا، وأعمها نصيحة، وأقربها إلى الله وسيلة، وكانوا بين مكثر من الفتوى، ومُقل، ومتوسط ، جزاهم الله تعالى خير الجزاء .

والذين حُفظت عنهم الفتوى من الصحابة مائة ونيف وثلاثون نفسًا ما بين ذكر وأنثى رضى الله عنهم أجمعين .

والمكثرون منهم سبعة :

عمر بن الخطاب ، وعلى بن أبى طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وعائشة ،

(١) سورة النساء : الآية ١٢٧

(٢) سورة النساء : الآية ١٧٦

وزيد بن ثابت ،وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر رضى الله عنهم أجمعين .

ويوم مات عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال عنه ابن مسعود : « **إنى لأحسب عمر ذهب بتسعة أعشار العلم** » .

وقال : « **لو أن علم عمر وضع فى كفة الميزان ووضع علم أهل الأرض فى كفة لرجح علم عمر** » .

كان الفاروق رضى الله عنه قويًا فى الحق شجاعًا ،ما وهن يومًا أمام الحق ، كان محبًا للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وكان يقول لأهله : « **اتقوا الله يا آل عمر فإن الناس ينظرون إليكم كما ينظر الطير إلى اللحم** » .

وكان يقول : « **رحم الله امرءًا أهدى إلىّ عيوبى** » .

قال له رسول الله ﷺ : « **والذى نفسى بيده مالقيك الشيطان سالكًا فجاً قط إلا سلك فجًا غير فجك يا عمر** » .

وقال ﷺ : « **لقد كان فيمن قبلكم من الأمم مُحدثون (مُلهمون) فإن يكن فى أمتى أحد فإنه عمر** » .

وقال سعيد بن المسيب : ما أعلم أحدًا بعد رسول الله ﷺ أعلم من عمر .

وقال الشعبى : إذا اختلف الناس فى شئ فخذوا بما قال عمر .

وقد استشهد وهو فى الصلاة لستٍ بقيت من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين هجرية ودفن فى الحجرة الشريفة عند النبى ﷺ .

وأما على بن أبى طالب: فهو الذى قال له الرسول ﷺ : «**أنت منى وأنا منك**» .

وقال عمر : « **توفى رسول الله وهو عنه راض** » .

وقد كان بحرًا زاجرًا وله أقضية وفتاوى أضحت مضرب الأمثال ، ومن المأثور قولهم : « **قضية ولا أباحسن لها** » .

واستشهد ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة بقيت من رمضان سنة أربعين واختلف فى موضع دفنه رضى الله عنه .

وأما عبد الله بن مسعود: فهو سادس ستة فى الإسلام، وهو من القراء المشهورين، وممن استظهر القرآن على عهد الرسول ﷺ، وهاجر الهجرتين، وصلى إلى القبلتين وشهد بدرًا والحديبية، وتوفى سنة ٣٢ هـ ودفن بالبقيع، وصلى عليه عثمان رضى الله عنهما .

وأما عائشة أم المؤمنين: فهى زوج الرسول ﷺ التى حفظت عنه شيئًا كثيرًا حتى قيل : أن رُبع الأحكام منقول عنها .

وقال عطاء :

كانت عائشة أفقه الناس وأعلم الناس وأحسن الناس رأيًا فى العامة .

وقال عروة بن الزبير :

ما رأيت أحدًا أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة .

وقال الزهرى :

لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أزواج الرسول ﷺ، وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل .

وقد قاربت السبعين، وتوفيت ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان سنة ٥٨ من الهجرة بالمدينة وصلى عليها أبو هريرة رضى الله عنهما .

وأما زيد بن ثابت الأنصارى الخزرجى: فقد كان أعلم الصحابة بالفرائض، وهو أحد الذين استظهروا القرآن فى عهد الرسول ﷺ، وتوفى رضى الله عنه سنة ٤٥ هـ بالمدينة وصلى عليه مروان بن الحكم .

وأما عبد الله بن عباس: فهو الذى سماه الرسول ﷺ ترجمان القرآن ودعا له بقوله : « **اللهم علمه الحكمة ، اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل** » .

أى التفسير .

ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ، ووصفه عمر بقوله :

(فتى الكهول له لسان سئول وقلب عقول) وقال طاووس :

إنى رأيت خمسين من الصحابة إذا ذاكروا ابن عباس فخالفوه لم يزل يقررهم حتى ينتهوا إلى قوله .

وقال مروان :

كنت إذا رأيت ابن عباس قلت: أجمل الناس، فإذا تكلم قلت: أفلح الناس، وإذا تحدث قلت : أعلم الناس .

وقال عطاء :

كان أناس يأتون ابن عباس فى الشعر والأنساب، وناس يأتونه لأيام العرب ووقائعها ، وناس يأتونه للعلم والفقه فما منهم صنف إلا ويقبل عليهم بما شاءوا .

توفى بالطائف وهو ابن سبعين سنة فى سنة ٦٨هـ وصلى عليه محمد بن الحنفية رضى الله عنهما .

وأما عبد الله بن عمر: فقد كان علمًا من أعلام الإسلام، وإمامًا فى الورع والزهد، واقتفاء آثار الرسول ﷺ، هاجر إلى المدينة مع أبيه وهو ابن عشر سنين، وشهد المشاهد كلها بعد بدر وأحد ،وشهد غزوة الخندق وسنه خمس عشرة سنة وكان عالمًا مجتهدًا ،لزومًا للسنة، فرورًا من البدعة، ناصحًا للأمة، وكان إذا أعجبه شيء من ماله تصدق به، ولا ينام من الليل إلا قليلا ليقضيه فى عبادة ربه متهجدًا قانتًا لله تعالى ، وقد وصفه الرسول ﷺ بقوله : « إنه رجل صالح » .

وقد عاش ستًا وثمانين سنة، وأفتى فى الإسلام ستين سنة، وتوفى رضى الله عنه فى أوائل سنة ٧٣ هـ فى عهد الحجاج بن يوسف الثقفى .

والمتوسطون من الصحابة من الفتيا ثلاثة عشر :

أبو بكر الصديق،وأم سلمة،وأنس بن مالك، وأبو سعيد الخدرى،وأبو هريرة، وعثمان بن عفان ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعبد الله بن الزبير ،

وأبو موسى الأشعرى ، وسعد بن أبى وقاص ، وسلمان الفارسى ، وجابر ابن عبد الله ، ومعاذ بن جبل (**رضى الله عنهم أجمعين**) .

ويضاف إلى هؤلاء :

طلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعمران بن حصين ، وأبو بكرة، وعبادة بن الصامت ، ومعاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهم أجمعين .

ومن المقتنين المقلين فى الفتيا من الصحابة : أبو الدرداء ، وأبو سلمة المخزومى، وأبو عبيدة بن الجراح ، والحسن والحسين ابنا على ، وأبىّ بن كعب ، وأبو ذر ، وصفية ، وحفصة ، وأم حبيبة ، وميمونة - أمهات المؤمنين - وأسامة بن زيد ، والبراء بن عازب ، والمقداد بن الأسود ، وسهل بن سعد الساعدى ، وأسماء بنت أبى بكر ، وحذيفة بن اليمان ، وعمرو بن العاص ، وسعد بن معاذ ، وسعد ابن عبادة ، وحسان بن ثابت ، ومحمد بن مسلمة ، وخالد بن الوليد ، ورافع بن خديج ، وفاطمة الزهراء ، وبلال، والعباس بن عبد المطلب وآخرون رضى الله عنهم أجمعين .

وبعد :

فقد ظهر أمامنا جليًا ما للفتوى من أثر عظيم وفن جليل ، ولقد حملها بعد الصحابة كثير من التابعين لا يكاد يحصى عددهم .

فعليك أيها الأخ المسلم أن تقف على حقيقة دينك ، فدينك لحمك ودمك :

« ومن يرد الله به خيرًا يفقهه فى الدين » .

فاللهم فقهنا فى ديننا ،وزهدنا فى دنيانا ، وبصرنا بعيوبنا .

تمهيد
(تكليف وتشريف)

منذ عشرات السنين ومن يوم شرفنى الله تعالى بحمل لواء دعوته وتبليغها وأنا ملتزم بقوله جل شأنه : ﴿ **الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله وكفى بالله حسيبا** ﴾ [1] .

كما أننى واقف موقف الوجل والحذر والخوف والخشية أمام قوله جل شأنه : ﴿**أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون** ﴾ [2] .

وقوله تبارك وتعالى : ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنًا قليلاً فبئس ما يشترون** ﴾ [3] .

وقوله عز وجل : ﴿ **كبر مقتًا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون** ﴾ [4] .

كما أننى لزمت العمل بما جاء فى قوله تعالى حكاية عن خطيب الأنبياء شعيب على نبينا وعليه الصلاة والسلام : ﴿ **وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب** ﴾[5] .

منذ أن كلفنى ربى وشرفنى برفع راية الدعوة إليه جل جلاله وأنا ملتزم بهذا المنهاج الواضح الساطع : ﴿ **قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن أتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين** ﴾ [6] .

وهذا هو الصراط القويم، والمنهج المستقيم الذى سلكه وسارع إليه صاحب الخلق العظيم، مبعوث العناية الإلهية، وشمس الهداية الربانية محمد ﷺ ومن يوم شرفتُ بالدعوة إلى الله وأنا أتلقى عشرات الأسئلة كل يوم ينشق فجره ، فما أن تبرز الغزالة من خدورها، ويسل سيف الفجر من غمد الظلام، ويتعرى الليل من ثوب الغلس، وتغرد الأطيار مسبحة مرددة نشيد التقديس لله ، ما من يوم ينشق فجره إلا ويحمل البريد إلىّ عشرات الرسائل تحمل الأسئلة والقضايا والبحوث الإسلامية ،

(١) سورة الأحزاب : الآية (٣٩) .
(٢) سورة البقرة : الآية (٤٤).
(٣) سورة آل عمران : الآية (١٨٧) .
(٤) سورة الصف : الآية (٣) .
(٥) سورة هود : الآية (٨٨)
(٦) سورة يوسف : الآية (١٠٨)

وقد أتلقى الأسئلة مشافهة فى المسجد أو البيت أو الطريق بين المسجد والبيت، وكذلك فى السفر والحضر والليل والنهار فبيت المسلم دائمًا مفتوح الأبواب ليس عليه حاجب ولا بواب خاصة إذا كان من أهل الذكر ، وقد وفقنى ربى سبحانه وتعالى فخرجت هذه الرسائل بعد أن قمت بالرد على كل رسالة ، كما أن ذاكرتى قد وعت بعون الله كثيرًا من تلك الأسئلة الشفوية ، وها أناذا بتوفيق من الله جل ذكره أجيب عنها فى هذا الكتاب إجابة وافية شافية مرتبة حسب ورودها فى الزمان .

وأسأل الله أن يجعل هذا الكتاب نافعًا شافيًا لما فى الصدور ، كافيًا وافيًا لمن أراد أن يقف على حقيقة الأمور ، إنه نعم المولى ونعم النصير وبالإجابة جدير .

وصلى الله على البشير النذير سيدنا محمد ﷺ .

س:
ما أثر التوحيد فى صلاح الإنسان فى الدنيا ؟

جـ :

إن التوحيد هو العماد الأول والأقوى للإسلام وتعاليم القرآن والذى شغلت الدعوة إليه وتقريره حيزًا كبيرًا من القرآن ينطوى بالإضافة إلى ما فيه من الحقيقة الإيمانية الكبرى على قصد تحرير الإنسان فى دنياه من سيطرة الأوهام والخرافات والخضوع لما لا يملك نفعًا ولا ضرًا والتوسل بالوسائل الزائفة لحماية نفسه واتخاذ الناس بعضهم بعضًا أربابًا من دون الله كما هو بارز فى آيات عديدة .

﴿ **قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًا ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون** ﴾ [1] .

﴿ أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد* ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز ذى انتقام ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون ﴾[2] .

(١) سورة آل عمران : الآية (٦٤)
(٢) سورة الزمر : الآيات ٣٦-٣٨

﴿ أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئًا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعًا له ملك السموات والأرض ثم إليه ترجعون ﴾[1] .

وذلك - فى عبادة غير الله والخضوع له والتوسل به من تسخير لقوى الإنسان وتعطيل لمواهبه وإذلال لنفسه إذلالاً من شأنه أن يظل راهبًا خائفًا جزعًا مما لا يبعث فى الحقيقة على شئ من ذلك ثم حد لأفقه ومطامحه وبالتالى ما فى ذلك من إفساد للقوى الإنسانية والأخلاق الإنسانية فى حين أن التوحيد والإيمان بإله واحد متصف بجميع صفات الكمال والحق والعدل والخير والرحمة والقوة من شأنه أن يحرر تلك القوى ويفسح المجال لانطلاقها فى أوسع الآفاق دون أن تتقيد بغير قيود الحق والعدل والخير واعتبار كل ما عدا الله صغيراً مهما كبر فالله أكبر منه، وضعيفًا مهما قوى فالله أقوى منه، وعاجزاً مهما قدر فالله أقدر منه، وفقيراً مهما غنى فالله أغنى منه، فلا يتجه إلى أحد غيره ولا يذل نفسه فى حاجة لأحد غيره، وناهيك بهذا قوة هائلة محررة لما أودعه الله فى الإنسان من قوى، وموجهة لها نحو الخير والصلاح والكمال فى هذه الحياة، ومساعدة له على القيام بواجباته الاجتماعية والإنسانية، ثم هى حافزة له على عدم الرضا بالظلم والقهر والتجبر والتمرد على البغاة والمتكبرين، وبالإضافة إلى هذا فإن الدعوة إلى الله وحده قد انطوت على تقرير ما فى الإيمان بالله وحده والاتجاه إليه وحده بالعبادة والدعاء من فوائد عظيمة متصلة بشئون الحياة الدنيا صلة وثيقة من حيث توكيد استجابة الله لداعيه وذكره لذاكريه وقدرته وحده على تفريج ما يحل بهم من خطوب ومنحهم ما يرجونه من رغائب وتحقيق ما يأملونه من مطالب :

﴿ وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون ﴾[1] .

﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أءله مع الله قليلاً ما تذكرون * أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته أءله مع الله تعالى الله عما يشركون * أمن يبدؤ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أءله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾[2] .

(١) سورة البقرة : الآية (١٨٦)   (٢) سورة النمل : الآيات (٦٢-٦٤)

﴿ وقال ربكم ادعونى أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين * الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون * ذلكم الله ربكم خالق كل شئ لا إله إلا هو فأنى تؤفكون . كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون * الله الذى جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين * هو الحى لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين ﴾[1] .

كذلك إذا أمعنا النظر فيما ورد فى صدر الواجبات التعبدية وجدناه ينطوى على تقرير ما فى القيام بها من فوائد عظيمة متصلة بشئون الدنيا اتصالاً وثيقًا أيضًا بالإضافة إلى وجوبها لله واستحقاقه لها وحده .

ففى الصلاة جاءت آيات تقرر أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر وتحفز المرء إلى القيام بواجباته نحو الناس وتساعده على تحمل التضحيات وتهذب نفسه وتزكى أخلاقه كما ترى فى الأمثلة التالية :

١ - ﴿ يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين * ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون * ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين * الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾[2] .

٢- ﴿ اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون ﴾[3] .

٣- ﴿ إن الإنسان خلق هلوعا * إذا مسه الشر جزوعًا * وإذا مسه الخير منوعًا * إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون * والذين فى أموالهم حق معلوم *

(١) سورة غافر : الآيات (٦٠-٦٥) .
(٢) سورة البقرة : الآيات (١٥٣-١٥٧)
(٣) سورة العنكبوت : الآية (٤٥)

للسائل والمحروم* والذين يصدقون بيوم الدين* والذين هم من عذاب ربهم مشفقون* إن عذاب ربهم غير مأمون* والذين هم لفروجهم حافظون* إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين* فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون * والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون * والذين هم بشهاداتهم قائمون* والذين هم على صلاتهم يحافظون* أولئك فى جنات مكرمون ﴾(1) .

ومما لا ريب فيه أن الصلاة بإيمان وقلب وذكر تحمل المصلى على التفكير فى الله وما أمر به ونهى عنه والتزامها وعلى الاستحياء من التلبس بالنفاق والكذب إذا ما خالف بين باطنه وظاهره وقوله وعمله أو اقترن إثمًا بينما هو يتهيأ من وقت لآخر للوقوف بين يدى الله، وفى ذلك من قوة الزجر والإصلاح ما يكفى لتهذيب أخلاقه وتطهيرها، ومجتمع يفرض على أفراده كافة رجال ونساء أن يكون لهم هذه الوسيلة الروحية خمس مرات كل يوم جدير بأن تسود فيه الأخلاق الطاهرة وتنتفى أو تقل فيه الفواحش والمنكرات إذا ما مورست بقلب وجد وإخلاص ، وفى هذا تبرز غاية صلاح الأفراد ، والمجتمع وطهارتهم وابتعادهم عن مواطن الزلل والخبائث فى الصلاة بالإضافة إلى وجوبها كعلامة خضوع لله واستحقاقه لها وحده(2) .

وهناك أحاديث عديدة تتساوق فى تلقينها مع الآيات القرآنية منها حديث أخرجه ابن أبى حاتم عن عمران بن حصين قال : سئل النبى ﷺ عن قول الله : **﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾** .

فقال : **« من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له »** .

وحديث ثان أخرجه ابن أبى حاتم عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : **«من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدًا »** .

والأحاديث لم ترد فى الكتب الخمسة ولكن هذا لا يمنع صحتها .

وهناك أحاديث نبوية عديدة فى إيجاب الصلاة اليومية المتكررة جماعة من ذلك حديث رواه الخمسة إلا أبا داود عن ابن عمر عن النبى ﷺ قال : **« صلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة »** .

(1) سورة المعارج : الآيات (19-35) .

(2) سورة العنكبوت : الآية (45) .

وحديث رواه الخمسة عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : **« صلاة الرجل فى الجماعة تضعف على صلاته فى بيته وفى سوقه خمسًا وعشرين ضعفًا »** .

وحديث رواه أصحاب السنن وأحمد وصححه ابن خزيمة عن أبى بن كعب عن النبى ﷺ قال : **« إن صلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلاته وحده وصلاته مع رجلين أزكى من صلاته مع الرجل وما كثر فهو أحب إلى الله عز وجل »** .

وحديث رواه الخمسة عن أبى هريرة : أن رسول الله فقد أناسًا فى بعض الصلوات فقال : **« لقد هممت أن آمر رجلاً يصلى بالناس ثم أخالف إلى رجال يتخلفون عنها فآمر بهم فيحرقوا عليهم بحزم الحطب بيوتهم ولو علم أحدهم أن يجد عظمًا سمينًا لشهدها يعنى العشاء »** .

ومهما بدا لأول وهلة أن الأمر تعبدى فإن فوائد الجماعة الاجتماعية لا تنكر حيث تتيح تكرر اجتماع المسلمين بعضهم ببعض يوميًا لتوثيق أواصر الصداقة والمحبة والتعاون والتعاطف بين المسلمين فضلاً عن تعلمهم بذلك النظام والترتيب والمواظبة على أداء الأعمال فى أوقاتها وفى القرآن آيات توجب على المسلمين أن يتركوا كل عمل دنيوى حين تحين صلاة الجمعة ويسعوا إلى المساجد لصلاتها جماعة وهى هذه **﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون * فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرًا لعلكم تفلحون* وإذا رأوا تجارة أو لهوًا انفضوا إليها وتركوك قائمًا قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين ﴾** (1) .

والآيات نزلت بسبب انفضاض الناس أو تخلفهم عن شهود صلاة الجمعة لأسباب دنيوية وبسبيل تقرير كون هذا الشهود من أسباب الفلاح للمسلمين .

ومهما بدا أول وهلة من طابع التعبد فى هذا الشهود فلا ينكر أن له فوائد اجتماعية تتحقق فى احتشاد جميع المسلمين فى المساجد واستماعهم خطبة الإمام الواعظة الهادية المرشدة المحذرة المذكرة فى مختلف شئون الدين والدنيا كما هو ثابت يقينًا فى عهد النبى ﷺ وخلفائه من بعده .

وهناك أحاديث نبوية أخرى فى صدد شهود الجمعة تدعم ما ضمناه من فوائد

(1) سورة الجمعة : الآيات (9-11) .

اجتماعية منها حديث رواه مسلم والنسائي وأحمد عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول على أعواد منبره : « **لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين** » .

وحديث رواه الشافعي عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : « **من ترك الجمعة من غير ضرورة كتب منافقًا في كتاب لا يمحى ولا يبدل** » .

وحديث رواه أبو داود والنسائي عن حفصة عن النبي ﷺ قال : « **على كل محتلم رواح الجمعة وعلى كل من راح الجمعة الغسل** » .

وحديث رواه أبو داود عن سلمان الفارسي عن النبي ﷺ : « **من اغتسل يوم الجمعة ولبس من أحسن ثيابه ومس من طيب إن كان عنده ثم أتى الجمعة فلم يتخط أعناق الناس ثم صلى ما كتب الله له ثم أنصت إذا خرج إمامه حتى يفرغ من صلاته كانت كفارة لما بينها وبين جمعته التي قبلها** » .

وفي آية الوضوء صراحة بأن الله قد توخى فيه طهارة المسلمين ونظافتهم وليس للإحراج والإعنات كما ترى فيها : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنبًا فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدًا طيبًا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون** ﴾ (1).

ومجتمع يفرض على جميع أفراده رجال ونساء أن يغسلوا أطرافهم أكثر من مرة كل يوم، وأن يغسلوا أبدانهم فترة بعد فترة تكون الطهارة والنظافة والعيوف عن القذارة والمستكرهات خلقًا من أخلاقه وبهذا تبرز غاية الصلاح الدنيوي في الوضوء والاغتسال المفروضين بسبيل العبادة بروزًا قويًا أيضًا حتى أن التيمم لا يخلو من هذه الغاية لأنه مذكر بوجوب التطهر دائمًا وجعل هذا الواجب راسخًا في النفس ، وهناك أمور أخرى متصلة بهذا الأمر والهدف وردت إشارات إليها في القرآن وذكرت في الأحاديث النبوية .

من ذلك التطهر من نجاسة الغائط والبول وهو واجب تمهيدي للصلاة ، وفي

(١) سورة المائدة : (٦) .

سورة التوبة آية فيها هذه الجملة : ﴿ **والله يحب المطهرين** ﴾ (1).

وقد روى المفسرون أنها عنت هذا الواجب وقد كان ممارسًا بتعليم نبوي .

وقد روى الخمسة عن أنس أنه قال :

كان النبي ﷺ إذا خرج لحاجته أجئ وأنا غلام معنا إداوة من ماء . يعني يستنجي به .

ورواية مسلم :

كان رسول الله ﷺ يدخل الخلاء فأحمل أنا وغلام نحوي إداوة من ماء فيستنجي بالماء .

وكان يزيل قذارة البول والغائط بمادة مزيلة لها إذا لم يجد ماء على ما جاء في حديث آخر رواه البخاري عن أبي هريرة جاء فيه : أن النبي ﷺ خرج لحاجته وكان أبو هريرة يتبعه فقال له : « **ابغ لي حجارة أستنفض بها** » .

والمتبادر أن المسلمين كانوا يحذون حذوه في ذلك فصار هذا سُنة متبعة مستمرة يمارسها المسلمون من لدن عهد النبي ﷺ إلى اليوم .

ومن ذلك طهارة الثياب التي هي ركن من أركان الصلاة .

وقد حث القرآن عليها في آة سورة المدثر : ﴿ **وثيابك فتطهر** ﴾ (2).

والآية مطلقة وتوجب كما هو ظاهرة هذه الطهارة في كل وقت فضلاً عن الصلاة بثياب طاهرة مع ملاحظة تكرر الصلاة خمس مرات في خمسة أوقات مختلفة في الليل والنهار ، ومعنى هذا أن هذا الواجب التعبدي صار وسيلة إلى جعل المسلم محافظًا على تحققه في ثيابه دائمًا كواجب ديني .

كذلك فإن هناك أحاديث أخرى تحث على الاغتسال أسبوعيًا أو في يوم الجمعة ولو لم تكن حالة جنابة رأينا إيرادها في هذا السياق لإبراز عناية الله ورسوله في جعل المسلم محافظًا على نظافة بدنه دائمًا منها حديث رواه الخمسة عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال : « **إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل** » .

(١) سورة التوبة : (١٠٨) .

(٢) سورة المدثر : (٤) .

وحديث رواه الشيخان والنسائى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « لله تعالى على كل مسلم حق أن يغتسل فى كل سبعة أيام يومًا يغسل فيه رأسه وجسده » .

وفى روايه النسائى : « على كل مسلم فى كل سبعة أيام غسل يوم هو يوم الجمعة » .

وفى الأحاديث تعليم نبوى رائع فى الاغتسال والتزين يوم الجمعة والاغتسال يومًا فى الأسبوع على الأقل ولو لم تكن حالة جنابة .

وفى هذا ما فيه من عناية نبوية متساوقة مع عناية كتاب الله بجعل المسلم طاهر البدن والثياب دائمًا كواجب دينى .

وهناك حديث رواه ابن ماجة وأبو داود عن عبد الله بن سلام قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر فى يوم الجمعة : « ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوب مهنته » .

وفى هذا الحديث تتمة لتلك العناية وإيذان بكون الجمعة عيدًا للمسلمين .

وفى آيات الصوم أشير إلى أن يساعد على تقوى الله تعالى كما ترى فى إحداها هذه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ [1] .

وتقوى الله إنما تتحقق فى المسلم إذا اجتنب ما نهى عنه والتزم ما أمر به فى تصرفاته الشخصية والاجتماعية والإنسانية فى الحياة الدنيا ، وفى الصيام ترويض للنفس على الصبر عن المباحات البدنية والمرء الذى يروض نفسه على ذلك أولى به أن يصبر على المحرمات وبذلك يتقى غضب الله .

وفى الصيام تضحية للذات ، والمرء الذى يروض نفسه على ذلك أولى به أن يعتاد تضحيته بشئ من أنانيته والتفكير بغيره والصيام يشعر الإنسان بألم الجوع والحرمان ويجعله يفكر فى الجائعين والمحرومين ويتقى الله بتخفيف الآلام عنهم .

وفى هذا غاية من غايات تقوى الله ، ومجتمع يكون له هذه الرياضة الروحية

(1) سورة البقرة : الآية (١٨٣) .

شهرًا فى كل سنة يكون له فضلى الوسائل إلى الإصلاح والتهذيب النفسى والخلقى والاجتماعى . وبهذا تبرز غاية من غايات الصيام فى الحياة الدنيا .

وهناك أحاديث نبوية فى فضل الصيام وواجب المسلم فى أثنائه فيها تساوق وتدعيم لما ذكرناه .

منها حديث رواه الخمسة عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : قال الله تعالى : «كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به ، والصيام جُنة وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إنى امرؤ صائم والذى نفسى محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك . للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقى ربه فرح بصومه » .

وحديث رواه النسائى والحاكم وصححه عن أبى أمامة قال : قلت: يا رسول الله مُرنى بأمر ينفعنى الله به . قال : « عليك بالصيام فإنه لا مثل له » .

وحديث رواه الخمسة إلا مسلمًا عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » .

وعن النبى ﷺ قال : « من فطر صائمًا كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئًا » .

ولقد فرض النبى ﷺ زكاة الفطر على الصائمين ، وجاء هذا فى حديث رواه أبو داود وابن ماجة والحاكم وصححه عن ابن عباس قال : فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين .

وعن ابن عمر قال : فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر : « صاعًا من تمر أو صاعًا من شعير على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين وأمر بها تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة » .

وهكذا جعل رسول الله ﷺ الصيام وسيلة أخرى لهذا الغرض الواسع الذى لمساعدة المساكين والمحتاجين .

وفى آيات الحج والكعبة انطوت مقاصد اجتماعية عديدة كما هو ظاهر فى الآيات التالية منها :

١- ﴿ وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا ﴾(١) .

٢- ﴿ إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركًا وهدى للعالمين* فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ﴾(٢) .

٣- ﴿ وجعل الله الكعبة البيت الحرام قيامًا للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد ﴾(٣) .

٤- ﴿ وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ﴾ (٤) .

ففى الآيات صراحة بأن من غايات الحج شهود الناس منافع لهم وتحقيقها ، وأن الكعبة والهدى والقلائد (**الأضاحى**) وقد جعلت من وسائل قيام أود الناس ومصالحهم ، وأن الكعبة قد جعلت للناس مأمنًا يلجأون إليه فتكون لهم به الطمأنينة والأمن وطبيعى أن من منافع شهود الحج تيسير اجتماع المسلمين من كل صوب وحدب على اختلاف الأنحاء والأجناس وتعارفهم وتواثقهم وتناجيهم بالبر والتقوى ومصلحة المسلمين وفى هذا من الغايات الاجتماعية الجليلة ما لا يخفى .

وبالإضافة إلى ذلك فإن فى فرض الحج على المستطيع من المسلمين رجال ونساء وفى جعل الكعبة قبلة ومطافًا غايات جليلة متصلة بصلاح المسلمين فى الدنيا بالإضافة إلى الفكرة التعبدية وتعنى بها ربط قلوبُ المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها بالبقعة المقدسة من بلاد العرب لتكون لهم مهوى أفئدة باستمرار كما كانت مهبط وحى رسولهم ومنشأ دعوة دينهم فتثبت فيهم روح القوة والاتحاد والأخوة ووحدة الاتجاه والهدف وما لوقوف حجاج المسلمين جميعًا فى عرفات فى زى واحد

(١) سورة البقرة : (١٢٥) . (٢) سورة آل عمران : (٩٦ ، ٩٧) .
(٣) سورة المائدة : (٩٧) . (٤) سورة الحج : (٢٧) .

لا يمتاز فيه ملك عن صعلوك ، ولا أمير عن خادم ، ولا غنى عن فقير ، ولا أبيض عن أسود متجهين جميعهم إلى الله وحده ولا يخشون غيره ولا يعترفون بالربوبية والقوة والعظمة لسواه ، ولا يطلبون ما يتملونه إلا منه ولا يستعيذون مما يخافون إلا به وجميعهم يشعرون بفقرهم إليه من المعانى السامية مما هو جدير بأن يرتفع بالمسلم إلى أعلى ذرا الشعور بالقوة والشجاعة والكرامة وطهارة النفس والضمير .

وهناك أحاديث عديدة فى الحث على هذا الركن وحكمتها متصلة بما فيه من منافع متنوعة منها حديث رواه الخمسة إلا أبا داود عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كمن ولدته أمه** » .

وحديث رواه مسلم والنسائى عن عائشة عن النبى ﷺ قال : « **ما مِّن يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة وإنه ليدنو ثم يباهى بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء ؟** » .

وحديث رواه النسائى والترمذى عن عبد الله عن النبى ﷺ قال : « **تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة** » .

وفى صدد الزكاة والجهاد اللذين هما ركنان من أركان الإسلام إلى جانب الإيمان بالله واليوم الآخر والصلاة والصيام والحج نقول : إن صلتهما بشؤون الحياة الدنيا قائمة بكل قوتها وشمولها ، وواضحة فيهما بنوع خاص تربية لأخلاق المسلم من حيث كونهما يُعلمانه الإقدام على التضحية بماله ونفسه وبالتالى يجعلانه إنسانًا فاضلاً يضحى بكل عزيز عليه فى سبيل الله ، وعزة دينه ومجتمعه ثم فى سبيل البر والعون للمحتاجين فيه .

والله تبارك وتعالى أعلم

س :

هناك بعض الأمور التى لا تعرف إلا من طريق النقل والسُنّة .
ويقال إنه لا يقبل إيمان العبد حتى يصدق بها تصديقًا جازمًا.

نريد حديثًا نتعرف من خلاله على هذه الأمور حتى ندخل فى عباد الله المؤمنين ؟ وهل توجد مثل هذه الأمور حقًا ؟

جـ :

نعم توجد مثل هذه الأمور ولا يقبل إيمان العبد حتى يصدق بها تصديقًا جازمًا ومنها :

١ – الإيمان بالملائكة :

وهم عالم غيبى لا يعلم حقيقته إلا الله تعالى ، لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون ولا يتصفون بذكورة ولا أنوثة ، خلقوا من نور .

عن ابن عمرو أن النبى ﷺ قال : « **إن الملائكة قالت : يا ربنا أعطيت بنى آدم الدنيا يأكلون ويشربون ويركبون ويلبسون ونحن نسبح بحمدك ولا نأكل ولا نشرب ولا نلهو ، فكما جعلت لهم الدنيا فاجعل لنا الآخرة .قال : لا أجعل صالح ذرية من خلقته بيدى كمن قلت له : كن فكان** » . [أخرجه الطبرانى فى الكبير]

وعن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال : « **خُلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم** » .

والملائكة كما وصفهم الله تبارك وتعالى : ﴿ **عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون** ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿**يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارًا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**﴾ [2] .

لهم القدرة على التشكل بالصور الجميلة ولقوله تعالى : ﴿ **قالوا يا لوط إنا**

(١) سورة الأنبياء : (٢٦، ٢٧) . (٢) سورة التحريم : (٦) .

رسل ربك لن يصلوا إليك ﴾[1] أى قالت الملائكة لسيدنا لوط عليه السلام حين جاءوه على هيئة رجال حسان الوجوه فى صفة أضياف لأجل أهلاك قومه .

وقوله تعالى : ﴿ **فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرًا سويًا** ﴾ [2]، جردهم الله تعالى من الشهوات وجبلهم على الطاعات .

وقوله تعالى فى حق سيدنا آدم عليه السلام حكاية عن الملائكة : ﴿ **قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء** ﴾ [3] .

ليس من الغيبة بل القصد التعجب والاستفسار لعدم علمهم بحكمة خلقه .

وتعليم هاروت وماروت الناس السحر على القول بأنهما من الملائكة ، إنما كان ابتلاء من الله عز وجل ولئلا يغتر أحد بعمل المبطلين وذلك أن السحرة كثرت فى ذلك الزمان ، ومنهم من ادعى النبوة .فبعث الله هذين الملكين ليعلما الناس السحر ليتمكنوا من معارضة الكذابين : ﴿ **وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر** ﴾ [4] .

فمن عمل بما تعلم منه واعتقد حقيقته كفر، ومن توقى عن العمل به واتخذه ذريعة للاتقاء عن الاغترار بمثله ، بقى على الإيمان ولا يكفر باعتقاد حقيقته وجواز العمل به .

ومستقر الملائكة فى الدنيا : السماوات وينزلون إلى الأرض بأمر الله تعالى ومستقرهم فى الآخرة : الجنات .

وهم أنواع :

منهم المُسبح والمكبر والمهلل والراكع والساجد والقائم وحملة العرش والحافون حوله ، وأمناء الوحى ، والسياحون فى الجهات ، والموكلون بالأرواح والأرزاق والأمطار ، ومنهم الحفظة وهم ملائكة تتعاقب على الإنسان ليحفظوه بأمر الله تعالى، ويدفعون عنه كل مكروه ، وإذا جاء القدر تخلو عنه ، والراجح أنهم عشرة بالليل وعشرة بالنهار .

قال تعالى : ﴿ **وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة** ﴾ [5] .

(١) سورة هود : (٨١) . (٢) سورة مريم : (١٧) . (٣) سورة البقرة : (٣٠) .
(٤) سورة البقرة : (١٠٢) . (٥) سورة الأنعام : (٦١) .

وقال : ﴿ **له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله** ﴾(١) أي : بأمره .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال : « **يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم ، كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون : تركناهم وهم يُصلونَ وأتيناهم وهم يُصلون** » . [أخرجه الشيخان والنسائي]

فعليك أيها العاقل أن تتذكر نعمة ربك عليك ، وتديم شكره على ما أولاك ، وأن تجتهد في طاعته ليديم عليك نعمته ، وأن تكرم حفظتك بالبعد عن معصية ربك، **قال ﷺ : « إن معكم من لا يفارقكم إلا عند الخلاء ، وعند الجماع فاستحيوهم وأكرموهم »** . [ذكره ابن كثير]

ومنهم : الكتبة وهما ملكان عن اليمين والشمال ، صاحب اليمين يكتب الحسنات ، وصاحب الشمال يكتب السيئات .

قال تعالى : ﴿ **إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد** ﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿ **وإن عليكم لحافظين كرامًا كاتبين يعلمون ما تفعلون** ﴾(٣) .

فاتق الله أيها العاقل وخف ربك واعمل بما يرضيه ، واردع نفسك عن شهواتها حيث علمت أن عليها شاهدين على عملها يسطران عليك ما يصدر منك خيراً أو شراً .

وتذكر يوم يقال لك : ﴿ **اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا** ﴾ (٤) .

هذا . والأنبياء أفضل من الملائكة عقلاً ونقلاً ، لأن الأنبياء ركبت فيهم الشهوة البشرية ، وقد تغلبت عليها عقولهم الشريفة ، فعصموا من الوقوع في المخالفة بخلاف الملائكة فإنهم جردوا من الشهوات وجُبلوا على الخيرات وقد أمرهم الله بالسجود لآدم عليه الصلاة والسلام .

(١) سورة الرعد : (١١) . (٢) سورة ق : (١٧) .
(٣) سورة الإنفطار : (١١) . (٤) سورة الإسراء : (١٤) .

وقال تعالى : ﴿ **إن الله اصطفى آدم ونوحًا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين** ﴾ (١) والملائكة من العالمين .

٢ - الإيمان بوجود الجن

وهم عالم غيبي لا يعلم حقيقتهم إلا خالقهم، خلقوا من النار يأكلون ويشربون وينامون . منهم الذكور والإناث ، والصالح والطالح ، والمؤمن والكافر ، وهم في التكليف كالآدميين ، لا يُرون على فطرتهم .

قال تعالى عن إبليس وملئه: ﴿ **إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم** ﴾(٢) .

حضر في بدء البعثة النبوية الشريفة وفد منهم وسمعوا القرآن من النبي ﷺ ولم يرهم وقت حضورهم ، ولم يعلم بوجودهم .

قال ابن عباس رضى الله عنهما: ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن ولا رآهم .

انطلق صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب ، فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: مالكم ؟قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب .

قالوا : ما ذلك إلا من شئ حدث ، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها .

فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامة بالنبي ﷺ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له ، وقالوا : هذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء ، فرجعوا إلى قومهم ﴿ **فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا** ﴾ (٣) .

فأنزل الله على نبيه ﷺ : ﴿ **قل أوحى إلىّ أنه استمع نفر من الجن** ﴾ .

[أخرجه الشيخان والترمذى]

وهذا الذى حكاه ابن عباس رضى الله عنهما ، إنما هو أول ما سمعت الجن قراءة رسول الله ﷺ وعلمت حاله ، وفي ذلك الوقت لم يقرأ عليهم ولم يرهم ، ثم بعد ذلك أتاه داعي الجن ، فقرأ عليهم القرآن ودعاهم إلى الله عز وجل .

(١) سورة آل عمران : (٣٣) . (٢) سورة الأعراف : (٢٧) . (٣) سورة الجن : (١ ، ٢) .

٣- الإيمان بأن الأجل قد قدره الله

يجب الإيمان بأن الإنسان وسائر الحيوانات والجن والملائكة لا يموت أحد منهم حتى يتم أجله الذى قدره الله . قال تعالى : **﴿ فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾**(١) .

وأن ملك الموت هو الذى يقبض الأرواح بأمر الله تعالى ، وله أعوان من الملائكة الكرام ، وأن كل إنسان يشاهد حال احتضاره مكانه الذى سيصير إليه ويخلد فيه من الجنة أو النار .

قال البراء بن عازب : **« خرجنا مع النبى ﷺ فى جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد ، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله وكأن على رءوسنا الطير ، وفى يده عود ينكت به فى الأرض فرفع رأسه فقال : استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثًا »** .

ثم قال : **إن العبد المؤمن إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة ، نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ، ثم يجئ ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه ، فيقول : أيتها النفس الطيبة اخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان** .

قال : فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فى السقاء فيأخذها ، فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن وفى ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفخة مسك وجدت على وجه الأرض .

قال : فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الطيب ؟ فيقولون : فلان بن فلان بأحسن أسمائه التى كانوا يسمون بها فى الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له ، فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء

(١) سورة الأعراف : (٣٤) .

مقربوها إلى السماء التى تليها حتى ينتهى به إلى السماء السابعة ، فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتاب عبدى فى عليين وأعيدوه إلى الأرض ، فإنى منها خلقتهم ، وفيها أعيدهم ، ومنها أخرجهم تارة أخرى .

قال : فتعاد روحه فى جسده فيأتيه ملكان فيجلسان فيقولان له : من ربك ؟

فيقول : ربى الله .

فيقولان له : وما دينك ؟

فيقول : دينى الإسلام

فيقولان له : ما هذا الرجل الذى بُعث فيكم ؟

فيقول : هو رسول الله ﷺ .

فيقولان له : وما علمك ؟

فيقول : قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت .

فينادى منادٍ من السماء أن صدق عبدى فأفرشوه من الجنة ، وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له بابًا إلى الجنة ، قال : فيأتيه من روحها (أى رحمتها) وطيبها ويفسح له فى قبره مد بصره .

قال : ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول : أبشر بالذى يسرك ، هذا يومك الذى كنت توعد .

فيقول له : من أنت فوجهك الوجه يجئ بالخير ؟

فيقول : أنا عملك الصالح .

فيقول : رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلى ومالى .

قال : وإن العبد الكافر إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح-(والمسوح: هو الثوب الخشن)- فيجلسون منه مد البصر ، ثم يجئ ملك الموت حتى يجلس عند رأسه ، فيقول : أيتها النفس الخبيثة اخرجى إلى سخط من الله وغضب .

قال : فتفرق فى جسده فينتزعها كما ينتزع السفود- (والسفود: هو الحديدة التى يشوى بها اللحم) من الصوف المبلول ، فيأخذها . فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يجعلوها فى تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض ، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث ؟

فيقولون : فلان بن فلان بأقبح أسمائه التى كان يسمى بها فى الدنيا ، حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا ، فيستفتح له فلا يفتح له ، ثم قرأ رسول الله ﷺ : **﴿ لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط ﴾** (١) .

فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتابه فى سجين فى الأرض السفلى ، فتطرح روحه طرحًا ، ثم قرأ : **﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق ﴾**(١) .

فتعاد روحه فى جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟

فيقول : هاه هاه لا أدرى.

فيقولان له : ما دينك؟

فيقول : هاه هاه لا أدرى .

فيقولون له : ما هذا الرجل الذى بُعث فيكم ؟

فيقول : هاه هاه لا أدرى .

فينادى مناد من السماء أن كذب فافرشوا له من النار ، وافتحوا له بابًا إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول :أبشر بالذى يسوءك ، هذا يومك الذى كنت توعد .فيقول من أنت فوجهك الوجه يجئ بالشر ؟

(١) سورة الأعراف : (٤٠) .

فيقول : أنا عملك الخبيث .

فيقول : رب لا تقم الساعة » . [أخرجه أحمد وأخرج أبو داود صدره]

٤ - الإيمان بسؤال القبر ونعيمه وعذابه :

يجب الإيمان بأن أول ما ينزل بالميت بعد موته سؤال منكر ونكير بأن يرد الله عليه روحه وسمعه وبصره ، ثم يسألانه عن دينه وربه ونبيه ، فإما أن ينعم أو يعذب. لما ورد فى ذلك من الأحاديث الصحيحة التى بلغت حد الشهرة ، منها : الحديث السابق عن البراء بن عازب ، ومنها : حديث عثمان رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال : « **استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يُسأل** » .

[أخرجه أبو داود والبيهقى والحاكم وصححه]

وحديث أنس بن مالك أن النبى ﷺ قال : « **إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم إذا انصرفوا، أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له : ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ لمحمد ﷺ . فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله** » .

فيقال له : انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة ، فيراهما جميعًا ويفسح له فى قبره سبعون ذراعًا ويملأ عليه خضرًا إلى يوم يبعثون ، وأما الكافر أو المنافق فيقال له : ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ فيقول لا أدرى كنت أقول ما يقول الناس ، فيقال له : « **لا دريت ولا تليت ويُضرب بمطارق من حديد ضربة بين أذنيه فيطيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه** » [أخرجه أحمد والشيخان وأبو داود والنسائى]

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سألت النبى ﷺ عن عذاب القبر فقال : « **إن عذاب القبر حق وإنهم يعذبون فى قبورهم عذابًا تسمعه البهائم** » .

[الحديث أخرجه الشيخان والنسائى]

وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « **إن الموتى ليعذبون فى قبورهم حتى أن البهائم لتسمع أصواتهم** » .

[أخرجه الطبرانى فى الكبير بسند حسن]

هذا والمُنعم والمعذب عند أهل السُّنة الجسد والروح جميعًا .

واعلم أنه وردت أحاديث دالة على اختصاص هذه الأمة بالسؤال فى القبر دون الأمم السابقة .

قال العلماء : السر فيه أن الأمم كانت تأتيهم الرسل فإن أطاعوهم فالمراد ، وإن عصوهم اعتزلوهم وعوجلوا بالعذاب .

فلما أرسل الله النبى محمدًا ﷺ رحمة للعالمين ، أمسك عنهم العذاب وقبل الإسلام ممن أظهره سواء أخلص أم لا ، وقيض لهم من يسألهم فى القبور ليخرج الله سرهم بالسؤال ، وليميز الله الخبيث من الطيب .

وذهب ابن القيم إلى عموم المسألة .

ومما تقدم يستفاد أن لأهل القبور حياة بما يدرك أثر التنعيم والعذاب ، ولو تفتت أجسادهم ، وهو أمر غيبى لا نبحث عن كيفيته وحال صاحبه كحال النائم يرى الملاذ والمؤلمات ، ولا يرى بجواره شيئًا .وإنما ستر عنا رحمة بنا .

روى أنس بن مالك أن النبى ﷺ قال: « لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر » . [أخرجه أحمد والنسائى]

هذا . ولا يسأل الأنبياء والصالحون والصبيان والشهداء . لحديث راشد بن سعد عن صحابى أن رجلاً قال : يا رسول الله ، ما بال المؤمنين يفتنون فى قبورهم إلا الشهيد ؟

فقال : « **كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة** » [أخرجه النسائى]

٥ - الإيمان باليوم الآخر :

وهو يوم القيامة وأوله من الموت . لحديث هانئ مولى عثمان بن عفان قال : كان عثمان رضى الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فقيل له : تذكر الجنة والنار فلا تبكى ، وتذكر القبر فتبكى ؟

فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **القبر أول منزل من منازل الآخرة ، فإن نجا منه فما بعده أيسر ، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه** » .

وقال ﷺ : « **ما رأيت منظرًا قط إلا والقبر أفظع منه** » .

[أخرجه الترمذى وأخرجه رزين]

وزاد : **قال هانئ : سمعت عثمان ينشد** :

فإن تنج منها تنج من ذى عظيمة

وإلا فإنى لا أخالك ناجيا

وقيل : أوله من النشر (الخروج من القبور) وآخره دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار . ولا يعلم وقت مجيئه إلا الله تعالى ، ليكون الإنسان منه على وجل ، قال تعالى : ﴿ **إن الله عنده علم الساعة** ﴾ (١). أى لا يعلم وقت مجئ القيامة إلا الله تعالى ، وقال : ﴿ **يسألونك عن الساعة أيان مرساها ۞ قل إنما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت فى السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفى عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾(٢) .

وعن بريدة قال : سمعت النبى ﷺ يقول خمس لا يعلمهن إلا الله عز وجل: ﴿ إن الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم ما فى الأرحام ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت ، إن الله عليم خبير ﴾ (٣).

[أخرجه أحمد بسند صحيح]

(١) سورة لقمان : (٣٤)
(٢) سورة الأعراف : (١٨٧)
(٣) سورة لقمان : (٣٤)

س :

ما فضل كلمة التوحيد ؟ وما حكم النطق بها ؟

جـ :

كلمة التوحيد هى (لا إله إلا الله ، محمد رسول الله)

وينبغى ترقيق حروفها مـا عدا لام (الله) وأن تُمد (لا) مداً طبيعيًا إلى ست حركات ، وتحقيق همزة : (إله) وتمد لامها مدًا طبيعيًا ، وتفتح هاؤها فتحًا بينًا بلا إشباع ، وتحقيق همزة إلا بلا إشباع وتشدد لامها ويفخم لفظ الجلالة ، وتُضم الهاء وصلاً ، وتسكن وقفًا، وحينئذ يجوز مد لفظ الجلالة إلى ست حركات .

فضل لا إله إلا الله :

ورد فى فضل كلمة (لا إله إلا الله) أحاديث كثيرة منها :

١- حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو أن النبى ﷺ قال : « **أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة ، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى: لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شئ قدير** » . [أخرجه مالك والترمذى واللفظ وقال له : حديث غريب]

٢- حديث جابر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « **أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله** » .

[أخرجه احمد والنسائى والترمذى وقال :حسن غريب ،وابن ماجة وابن حبان والحاكم وصححه]

٣- حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « **قال موسى عليه الصلاة والسلام : يارب علمنى ما أذكرك وأدعوك به .**

فقال : يا موسى . قل : لا إله إلا الله . قال موسى عليه الصلاة والسلام: يارب كل عبادك يقولون هذا .قال : قل لا إله إلا الله .

قال : لا إله إلا أنت . إنما أريد شيئًا تخصنى به .

قال : يا موسى لو أن السموات السبع . والأرضين السبع فى كفة ، ولا إله إلا الله فى كفة . لمالت بهن لا إله إلا الله » .

[أخرجه النسائى وابن حبان]

٤- حديث عبد الله بن عمرو أن النبى ﷺ قال : « **التسبيح نصف الميزان، والحمد لله تملؤه ، ولا إله إلا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تخلص إليه** » . [أخرجه الترمذى]

أما حكم النطق بكلمة التوحيد ، فإن النطق بها يجب على من نشأ مؤمنًا ، أن يذكرها فى العمر مرة ناويًا أداء الواجب ، وإلا فهو عاص ، ثم ينبغى له الإكثار من ذكرها عارفًا معناها ، مستحضرًا ما أحتوت عليه لينتفع بذكرها دنيا وأخرى ، فتتفجر ينابيع الحكم من قلبه ، ويرى لها من الأسرار والعجائب إن شاء الله تعالى ما لا يدخل تحت حصر .

وأما الكافر الذى يريد الدخول فى الإسلام ، فذكره لها ليس شرطًا فى صحة إيمانه ولا جزءًا من مفهومه ، وإنما جعل الشرع النطق بالشهادتين ، شرطًا لازمًا لإجراء الأحكام الدنيوية على المؤمن كالصلاة خلفه ، والصلاة عليه ، ودفنه فى مقابر المسلمين ، وتزوجه مسلمه ، فإذا لم ينطق بهما لعذر كالخرس ، أو لم يتمكن من النطق بهما ، بأن مات عقب إيمانه بقلبه ، أو اتفق له عدم النطق بهما بعد الإيمان بقلبه فهو مؤمن عند الله وناج فى الآخرة ، وأما من امتنع عن النطق بهما عنادًا بعد أن عرض عليه ذلك فهو كافر ،والعياذ بالله تعالى ولا عبرة بتصديقه القلبى مع هذا الامتناع .

س :

ما كيفية الذكر ؟ وما فضله ؟

جـ :

أفضل الأذكار وأشرفها عند الله تعالى كلمة التوحيد فينبغي على العاقل أن يعنى بها ويحسن أن يكون حالة الذكر على طهارة متطيبًا متجملاً مستقبلاً القبلة ، ويتحرى الانفراد عن الخلق ما استطاع ، ويستحضر المعنى بقدر الإمكان ، ولا يترك الذكر عند عدم حضور قلبه ، بل يذكر متحليًا ببقية الآداب راجيًا أن تغشاه نفحة إلهية تنقله من الغفلة إلى الحضور ومن الحضور إلى المشاهدة .

وألا يتصرف في شئ من حروفها بزيادة أو نقصان بل يقتصر على الوارد شرعًا، وليحذر مما عليه غالب الناس اليوم من تحريف الذكر والإلحاد في أسمائه تعالى فإنه حرام بالإجماع ولا سند لهم في ذلك إلا قولهم : وجدنا أشياخنا هكذا يذكرون . وهذا لا يصدر إلا من الجهلة الذين لا يميزون الغث من السمين .

فعلى المؤمن ألا يخرج في ذكره وكل أعماله عما جاء به الكتاب العزيز ، ونطقت به السُّنة المطهرة .

والذكر حقيقة هو ما يجرى على اللسان والقلب ، وأكمله ما كان فيه استحضار معنى الذكر وما اشتمل عليه من تعظيم الله تعالى ونفى النقائص عنه ، والمراد به ما يشمل التسبيح والتحميد وتلاوة القرآن والاستغفار والصلاة على النبي ﷺ وغير ذلك قال الفخر الرازي :

المراد بذكر اللسان : الألفاظ الدالة على التسبيح والتحميد والتمجيد .

والذكر بالقلب: التفكر في أدلة الذات والصفات والتكاليف من الأمر والنهي ، وفي أسرار مخلوقات الله .

والذكر بالجوارح : هو أن تصير مستغرقة بالطاعة ولذا سمى الله تعالى الصلاة ذكرًا في قوله : ﴿ **فاسعوا إلى ذكر الله** ﴾ (١) .

(١) سورة الجمعة : (٩) .

والذكر على سبعة أنحاء :

فذكر العينين البكاء ، وذكر الأذنين الإصغاء ، وذكر اللسان الثناء ، وذكر اليدين العطاء ، وذكر البدن الوفاء ، وذكر القلب الخوف والرجاء ، وذكر الروح التسليم والرضاء . (واعلم) أن الذكر أفضل الأعمال .

فعن أبي الدرداء رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال : « **ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم** » ؟

قالوا : بلى . قال : « **ذكر الله تعالى** » .

[أخرجه مالك وأحمد والترمذي وابن ماجة والحاكم وصححه]

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال : « **ما عمل ابن ادم عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله** » .

[أخرجه أحمد والترمذي والطبراني بسند صحيح]

وعن الأغرّ أبي مسلم رضى الله عنه أنه قال : أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضى الله عنهما أنهما شهدا على النبي ﷺ أنه قال : « **لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده** » .

[أخرجه أحمد ومسلم والترمذي وقال : حديث حسن صحيح]

وعن أبي سعيد الخدري رضى الله قال : « **خرج معاوية على حلقة في المسجد فقال : ما أجلسكم** »؟

قالوا : جلسنا نذكر الله . قال : آلله ما أجلسكم إلا ذاك ؟

قالوا : والله ما أجلسنا إلا ذاك .

قال : أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم ، وما كان أحد بمنزلتي من رسول الله

ﷺ أقل عنه حديثًا منى ، وأن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال:

ما أجلسكم ؟

قالوا : جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومنّ به علينا .

قال : آلله ما أجلسكم إلا ذاك ؟

قالوا : والله ما أجلسنا إلا ذاك .

قال : أما إنى لم أستحلفكم تهمة لكم ، ولكن أتانى جبريل فأخبرنى أن الله عز وجل يباهى بكم الملائكة .

[أخرجه مسلم والنسائى والترمذى]

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « **من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير فى يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر من ذلك** » . [أخرجه مالك والشيخان والترمذى وابن ماجة]

وعنه أيضًا أن النبى ﷺ قال : « **من قال سبحان الله وبحمده فى يوم مائة مرة،حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر** » .

[أخرجه مالك وأحمد والشيخان والترمذى وابن ماجة]

وعن مكحول عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **أكثروا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز من كنوز الجنة** » .

قال مكحول : فمن قالها ثم قال : ولا منجى من الله إلا إليه . كشف الله عنه سبعين بابًا من الضر أدناها الفقر .

أخرجه الترمذى وقال : إسناده ليس بمتصل لأن مكحولاً لم يسمع من أبى هريرة ، وأخرجه النسائى مطولاً بسند رجاله ثقات ورفع إلى النبى ﷺ قوله : « **ولا منجى من الله إلا إليه** » .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « **استكثروا من الباقيات الصالحات : لا إله إلا الله ، وسبحان الله ، والله أكبر ، والحمد لله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله** » . [أخرجه النسائى وأحمد وابن حبان والحاكم وصححاه]

س:

ما هو الواجب فى حقه تعالى الذى يجب على المكلف الاعتقاد فيه ؟

جـ :

يجب على المكلف أن يعتقد أن الله تعالى متصف بالصفات الجليلة القديمة الثابتة بالأدلة التفصيلية وهى ثلاث عشرة :

١ – الوجود :

فهو تعالى موجود بلا ابتداء قبل وجود جميع الحوادث من عرش وكرسى وسماوات وسائر العلم . والدليل على ذلك خلقه تعالى السماوات وما فيها من الكواكب والملائكة ، والأرض وما فيها من الجبال والرمال والأشجار والأحجار والبحار والأنهار والحيوانات والجمادات ، لأن الصنعة لابد لها من صانع موجود ، وقد قال الله عز وجل : ﴿**ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شئ**﴾[1] . قال تعالى : ﴿ **الحمد لله الذى خلق السماوات والأرض** ﴾[2] . وقال : ﴿ **سبح اسم ربك الأعلى الذى خلق فسوى** ﴾[3] .

أى خلق كل شئ فسوى خلقه . وقال : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذى خلق* خلق الإنسان من علق** ﴾[4] .

وقال : ﴿ **وخلق كل شئ فقدره تقديرا** ﴾[5] .

ومن البدهى أن موجد الشئ لا يكون معدومًا ، لأن المعدوم لا يعطى الوجود

(١) سورة الأنعام : (١٠٢)
(٢) سورة الأنعام : (١) .
(٣) سورة الأعلى (١)
(٤) سورة العلق : (١، ٢)
(٥) سورة الزمر (٦٢) .

٢ - القِدَم :

ومعناه أنه لا أول لوجوده تعالى ، وأنه لم يسبقه عدم ، لقوله تعالى : ﴿ الله خالق كل شئ وهو على كل شئ وكيل ﴾(١) إذ معناه أن كل شئ غير الله مخلوق لله، فلا يجوز أن يكون غيره خالقًا له لأنه لو كان مخلوق لكان محتاجًا لغيره ، كيف وهو ذو الغنى المطلق ، وفقر كل شئ إليه محقق ؟!

عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال : إنى عند النبى ﷺ إذ جاءه قوم من بنى تميم فقال : « **اقبلوا البشرى يا بنى تميم** » . قالوا: بشرتنا فأعطنا . فدخل ناس من أهل اليمن ، فقال : « **اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم** » .

قالوا : قبلنا . جئناك لنتفقه فى الدين ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان ؟

قال : « **كان الله ولم يكن شئ قبله وكان عرشه على الماء ، ثم خلق السماوات والأرض وكتب فى الذكر كل شئ** » . [أخرجه البخارى]

٣- البقاء :

ومعناه أنه لا انتهاء لوجوده تعالى ، وأنه لا يلحقه عدم ، لقوله تعالى: ﴿ **ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام** ﴾ (٢).

وقوله : ﴿ **كل شئ هالك إلا وجهه** ﴾(٣).

ولأن من ثبت قدمه استحال عدمه ، فهو الأزلي القديم بلا بداية والأبدى الباقى بلا نهاية ﴿ **هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم** ﴾ (٤).

٤- مخالفته تعالى للحوادث :

ومعناها عدم مماثلته لشئ منها لا فى الذات ولا فى الصفات ولا فى الأفعال ، لقوله تعالى : ﴿ **ليس كمثله شئ وهو السميع البصير** ﴾(٤) ولأنه لو ماثل منها لكان حادثًا مثلها ، والحدوث مستحيل فى حق الخالق عز وجل .

---

(١) سورة الرحمن : (٧٨) .
(٢) سورة القصص : (٨٨) .
(٣) سورة الحديد : (٣) .
(٤) سورة الشورى : (١١) .

٥- قيامه تعالى بنفسه :

ومعناه أنه تعالى موجود بلا موجد ، وغنى عن كل ما سواه ، وأنه متصف بصفات الكمال منزه عن صفات النقص ، لقوله تعالى : ﴿ **يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد** ﴾(١) .

وقوله تعالى : ﴿ **والله الغنى وأنتم الفقراء** ﴾(٢) ولأنه لو احتاج إلى شئ لكان حادثًا وحدوثه محال لما تقدم فاحتياجه محال .

٦- الوحدانية فى الذات والصفات والأفعال :

ومعناها أن ذاته ليست مركبة ، وليس لغيره ذات تشبه ذاته ، وأنه ليس له صفتان من جنس واحد كقدرتين وعلمين ، وليس لغيره صفة كصفته ، وأن الأفعال كلها خيرها وشرها ، اختيار يها واضطرابها مخلوقة لله وحده بلا شريك ولا معين .

قال الله تعالى : ﴿ **وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم** ﴾ (٣).

وقال : ﴿ **لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا** ﴾(٤) .

وقال : ﴿ **والله خلقكم وما تعلمون** ﴾(٥). وقال : ﴿ **يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض ؟ لا إله إلا هو فأنى تؤفكون** ﴾ (٦).

وقال تعالى : ﴿ **قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوًا أحد** ﴾(٧) .

أى قل يأيها النبى - لمن سألك عن صفة ربك جل وعلا - هو المعبود بحق، المتصف بكل صفات الكمال ، الواحد فى ذاته وصفاته وأفعاله ، المقصود فى قضاء حوائج الخلق على الدوام ، الذى ليس بوالد ولا مولود ولا شبيه له ولا نظير .

---

(١) سورة فاطر : (١٥) .
(٢) سورة محمد : (٣٨) .
(٣) سورة البقرة : (١٦٣) .
(٤) سورة الأنبياء : (٢٢) .
(٥) سورة الصافات : (٩٦)
(٦) سورة فاطر : (٣) .
(٧) سورة الإخلاص : (١ - ٤).

دلت سورة الإخلاص على عدة أمور هي :

أ- إثبات ألوهية الله تعالى المستلزمة لاتصافه بكل صفات الكمال كالعلم والقدرة والإرادة .

ب- إثبات أحديته الموجبة تنزهه تعالى عن التعدد والتركيب وما يستلزم أحدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة فى الخلقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة .

جـ - إثبات صمديته تعالى المقتضية استغناءه عن كل ما سواه وافتقار كل ما عداه إليه فى الوجود والبقاء وسائر الأحوال .

د- إبطال زعم من زعم أن له ولدًا كاليهود والنصارى بقوله : ﴿ **لم يلد** ﴾ لأن الولد من جنس أبيه ، والله لا يجانسه أحد ولا يجانس أحدًا ، ولا يفتقر إلى من يعينه أو يخلفه لامتناع احتياجه وفنائه .

هـ - إثبات قدمه بقوله : ﴿ **لم يولد** ﴾ أى لم ينفصل عن غيره وهذا لا نزاع فيه ، وإنما ذكر لتقرير ما قبله إذ المعهود أن مالا يولد لا يلد .

و - نفى مماثلة شئ له تعالى فى أى زمان كان ، ومن زعم أن نفى الكفء فى الماضى لا يدل على نفيه فى الحال والكفار يدّعونه ، فقد غفل لأن مالم يوجد فى الماضى لا يكون فى الحال ضرورة أن الحادث لا يكون كفئًا للقديم .

٧- الحياة :

وهى صفة قديمة قائمة بالذات العلية ، تصحح لموصوفها الاتصاف بالعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر ، وما إلى ذلك من الصفات اللائقة به تعالى وحياته ليست بروح ، ودليلها قوله : ﴿ **الله لا إله إلا هو الحى القيوم** ﴾ (١) .

وقوله : ﴿ **وعنت الوجوه للحى القيوم** ﴾ (٢) . وقوله : ﴿ **وتوكل على الحى الذى لا يموت** ﴾(٣) .

(١) سورة البقرة : (٢٥٥) . (٢) سورة طه : (١١١) (٣) سورة الفرقان : (٥٨)

٨- العلم :

وهو صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى تحيط بكل موجود ، واجبًا كان أو جائزًا ، وبكل معدوم ، مستحيلاً كان أو ممكنا ، فهو تعالى يعلم وجود ذاته وصفاته وأنها قديمة لا تقبل والعدم ، ولا يعلم أنه لا شريك له ، وأن وجود الشريك محال ، ويعلم جواز حدوث الممكن وعدمه ، ويعلم فى الأول عدد من يدخل الجنة ومن يدخل النار جملة واحدة فلا يزاد فى ذلك العدد ولا ينقص منه ، ويعلم أفعالهم وكل ما يكون منهم ، ويعلم أنه عالم بكل الأمور لا تخفى عليه خافية .

قال تعالى : ﴿ **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** ﴾ (١) .

وقال : ﴿ **إنما إلهكم الله الذى لا إله إلا هو وسع كل شئ علما** ﴾ (٢) .

وقال: ﴿ **لتعلموا أن الله على كل شئ قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علما** ﴾ (٣) .

وقال : ﴿ **يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم** ﴾ (٤) .

وقال : ﴿ **هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة** ﴾ (٥) .

وقال : ﴿ **يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور** ﴾(٦) .

وقال : ﴿ **أن الله بكل شئ عليم** ﴾(٧) .

وعن ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : خرج علينا رسول الله ﷺ وفى يده كتابان ، فقال : « **أتدرون ما هذان الكتابان** ؟ فقلنا : لا يا رسول الله إلا أن تخبرنا . فقال للذى فى يده اليمنى : هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ، ثم أجمل على آخرهم ، فلا يزاد منهم ولا ينقص منهم أبدًا .

وقال للذى فى شماله : هذا كتاب من رب العالمين ، فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد منهم ولا ينقص منهم أبدًا .

(١) سورة الملك : (١٤)
(٢) سورة طه : (٩٨)
(٣) سورة الطلاق (١٢)
(٤) سورة البقرة : (٢٥٥)
(٥) سورة الحشر : (٢٢) .
(٦) سورة غافر : (١٩) .
(٧) سورة البقرة : (٢٣١)

فقال أصحابه : ففيم العمل يا رسول الله إن كان الأمر قد فرغ منه ؟

قال : «سددوا وقاربوا فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أى عمل،وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار ، وإن عمل أى عمل،ثم قال ﷺ بيديه فنبذهما،ثم قال :فرغ ربكم من العباد فريق فى الجنة وفريق فى السعير» .

[أخرجه أحمد والترمذى وقال: حديث حسن غريب صحيح]

ولأنه تعالى لو لم يكن عالمًا لكان جاهلاً ، ولو كان جاهلاً لكان حادثًا ، وحدوثه محال لما سبق ، فالجهل عليه تعالى مُحال .

هذا وعلم الله تعالى ليس كسبيًا ولا يوصف بكونه ضروريًا أو نظريًا أو بديهيًا أو يقينيًا أو تصوريًا أو تصديقيًا ، لأنه صفة قديمة لا تعدد فيها ولا تكثر .

٩- الإرادة :

وهى صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه كوجود المخلوق فى زمن دون غيره ، وفى مكان دون آخر وهكذا ، لقوله تعالى: ﴿ **وربك يخلق ما يشاء ويختار** ﴾ (1).وقوله تعالى : ﴿ **لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثًا ويهب لمن يشاء الذكور** ﴾(2) .وقوله تعالى : ﴿ **فعال لما يريد** ﴾ (3).وقوله تعالى : ﴿ **فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام** ﴾(4) .وقوله تعالى : ﴿ **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** ﴾(5) .

١٠- القدرة :

وهى صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه ، لقوله تعالى : ﴿ **إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين** ﴾ (6).وقوله تعالى : ﴿ **وهو على كل شئ قدير** ﴾ (7).

(1) سورة القصص : (٦٨) .
(2) سورة الشورى : (٤٩) .
(3) سورة هود : (١٠٧) .
(4) سورة الأنعام : (١٢٥) .
(5) سورة البقرة : (١٨٥) .
(6) سورة الذاريات : (٥٨) .
(7) سورة المائدة : (١٢٠) .

وقوله تعالى : ﴿ **وكان الله على كل شئ مقتدرا** ﴾ (1).

ولأنه لو لم يكن قادرًا لكان عاجزًا ، وعجزه محال ، كيف وهو خالق كل شئ .

تنبيـــه :

عُلم أن الإرادة والقدرة يتعلقان بكل ممكن من أفعالنا الاختيارية ، وماله سبب كالإحراق عند مماسة النار ، وما لا سبب له كخلق السماء ، وتعلق القدرة فرع تعلق الإرادة الذى هو فرع تعلق العلم إذ لا يوجد الله تعالى شيئًا ولا يعدمه إلا إذا أراد وجوده أو إعدامه وقد سبق فى علمه أن يكون أو لا يكون .

١١- السمع :

وهو صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى تحيط بكل موجود واجبًا أو ممكنًا صوتًا أو لونًا أو ذاتًا أو غيرها ، فهو يسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الملساء فى الليلة الظلماء بلا أُذن ولا صماخ .

١٢- البصر :

وهو صفة وجوديه قديمة قائمة بالذات العلية تحيط بكل موجود - واجبًا أو جائزًا جسمًا أو لونًا أو صوتًا أو غيرها بلا حدقة - إحاطة غير إحاطة العلم والسمع.

والدليل على أنه تعالى سميع بصير قوله تعالى : ﴿ **فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير** ﴾(2) ، ﴿ **إن الله سميع بصير** ﴾(3)، ولأنه تعالى لو لم يكن سميعًا بصيرًا لكان أصم أعمى وهو نقص ، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا .

١٣- الكـــلام :

وهو صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى تدل على كل موجود واجبًا أو جائزًا، وعلى كل معدوم محالاً أو جائزًا .

وليس كلامه تعالى بحرف ولا صوت ، ولا يوصف بجهر ولا سر ولا تقديم

(1) سورة الكهف : (٤٥) .

ولا تأخير ولا وقف ولا سكوت ولا وصل ولا فصل ، لأن هذا كله من صفات الحوادث ، وهى محالة عليه تعالى .

ودليله قوله تعالى : ﴿ وكلم الله موسى تكليمًا ﴾[1]

ولأنه تعالى لو كان غير متكلم لكان أبكم والبكم نقص محال فى حقه تعالى

والقرآن والتوراة والإنجيل والزبور وباقى الكتب المنزلة ، تدل على بعض ما يدل عليه الكلام القديم ، قال تعالى : **﴿ قل لو كان البحر مدادًا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددًا ﴾**[2] .

وقال : **﴿ ولو أنما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ﴾** .

وله تعالى صفات غير ذلك كالجلال والجمال والعزة والعظمة والكبرياء والقوة وهى غير القدرة ، والوجه والنفس والعين واليد والأصابع والقدم والمحبة والرضا والفرح والضحك والغضب والكراهة والعجب والمكر ونحو ذلك مما ورد فى الكتاب والسنة .

فيجب الإيمان به بلا كيف فنقول : له تعالى يد لا كالأيدى ، ونفوض معرفة ذلك ، وتفصيله إلى الله تعالى ولا نؤول أن يده تعالى قدرته أو نعمته وأمثال ذلك ، لأن فيه إبطال الصفة التى دل عليها الكتاب والسُّنة ، ولكن نقول يده صفة له بلا كيف وهكذا .

وغضبه ومكره واستهزاؤه غير انتقامه وغير إرادة الانتقام ، بل من صفاته بلا كيف ، وهذا مذهب السلف فى المتشابهات ، هذا ما يلزم اعتقاده ومعرفته تفصيلاً من الواجب فى حقه تعالى وأما الواجب معرفته إجمالاً : فهو أن يعتقد المكلف أن الله تعالى متصف بكمالات موجودة تليق به تعالى لا نهاية لها يعلمها الله تعالى تفصيلا ويعلم أنها لا نهاية لها ، لأنه لو انتفى عنه تعالى شئ من الكمال الذى يليق به لكان ناقصًا والنقص محال فى حقه لاستلزامه الحدوث المحال عليه تعالى .

(1) النساء : (164) . (2) سورة الكهف : (109) . (3) سورة لقمان : (27) .

س :

ما هو المستحيل فى حقه سبحانه وتعالى ؟

جـ :

يستحيل فى حقه تعالى العدم والحدوث وهو الوجود بعد عدم ، والفناء ، ومماثلته تعالى للحوادث فى الذات بأن يكون جسمًا مركبًا أو حالاً فى مكان أو مخصوصًا بزمان أو موصوفًا بالكبر أو بالصغر أو يكون له شبيه ، وفى الصفات بأن يكون حياته كحياة الحوادث وعلمه كعلمهم وهكذا ، وفى الأفعال بألا يكون مؤثرًا فى شئ ، وإنما له مجرد الكسب . تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا ، فهو لا يماثل موجودًا ولا يماثله موجود ، ولا يحده مقدار ولا تحويه أقطار ، لقوله تعالى : **﴿ليس كمثله شئ ﴾**[1] . ومن المستحيل فى حقه تعالى احتياجه لموجد أو ذات يقوم بها .

والتعدد فى الذات بأن يكون مركبًا يقبل الانقسام أو يكون هناك ذات كذاته، وفى الصفات بأن يكون له صفتان من جنس واحد كقدرتين وعلمين ، أو يكون لغيره صفة كصفته ، وفى الأفعال بأن يكون لغيره تأثير فى شئ من الاشياء بطبعه أو بقوة مودعة فيه ، فليست النار محرقة بطبعها ولا بقوة خلقت فيها ، وإنما الخالق للإحراق هو الله تعالى عند خلقه النار ، ولو شاء خلق النار دون الإحراق لكان كما حصل لخليله سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وليس الماء مرويًا بطبعه، ولا بقوة خلقت فيه، وإنما الخالق للرى الله تعالى عند شرب الماء ، وليس الملبوس ساترًا وواقيًا البرد أو الحر بنفسه ولا بقوة خلقت فيه ، بل الخالق لما ذكر هو الله تعالى عند لبس الثياب .

فمن يعتقد تأثير شئ من الأسباب فى مسببه أو عكسه فهو مؤمن يخشى عليه إنكار معجزات الأنبياء فيكفر ، أو إنكار كرامات الأولياء فيفسق .

(1) سورة الشورى : (11) .

والاعتقاد الصحيح اعتقاد أن المؤثر فى السبب والمسبب هو الله تعالى مع إمكان تخلف أحدها عن الآخر خرقًا للعادة .

ومن المستحيل فى حقه تعالى : الموت وما فى معناه كالنوم والإغماء .

قال تعالى : ﴿ **الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم** ﴾[1] .

ومن الجهل وما فى معناه كالظن والشك والوهم والغفلة والذهول والنسيان .

ومن وجود شئ من الحوادث بلا إرادته تعالى بأن يكون بطريق الطبع أو العلة، فلا يقع فى الملك والملكوت قليل أو كثير صغير أو كبير ، خير أو شر إلا بقضائه وقدره .

ومنه العجز عن ممكن ما والصمم وما فى معناه كسمعه الجهر دون السر ، وكاختصاصه بالأصوات دون الذوات وسائر الموجودات .

ومنه العمى وما فى معناه كالعشى - وهو عدم الإبصار ليلاً - والجَهَر - وهو عدم الإبصار نهارًا - ومنه البكم وهو الخرس وما فى معناه كالفكاهة والعى والسكوت ، وكون كلامه تعالى بحروف وأصوات .

هذا ما دلت على استحالته فى حق الله تعالى هذه الأمور التى يمكن حدوثها للمخلوق ، ويجب على كل مكلف أن يعتقد بعد ذلك أن الله تعالى منزه عن كل نقص كما أنه متصف بكل كمال .

والله تعالى أعلم

(1) سورة البقرة : (٢٥٥) .

س:
ما هو الجائز فى حقه سبحانه وتعالى ؟

جـ :

يجوز فى حقه تعالى فعل كل ممكن أو تركه فهو متفضل بالخلق والاختراع والتكليف والإنعام والإحسان لا عن وجوب ولا إيجاب ، فلا يجب عليه شئ مما ذكر، ولا يستحيل عليه تعالى فعل ما يضر عباده ، بل يجوز أن يفعله بهم بطريق العدل ، إذ للمالك أن يتصرف فى ملكه بما يشاء ، فهو الخالق للإيمان والطاعة والسعادة والعافية ، وسائر النعم فضلاً منه وإحسانًا ، وهو الخالق للكفر والمعاصى والشقاوة والأمراض والفقر ، ونحو ذلك عدلاً منه فى مملوكه .

قال تعالى : ﴿ **والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم** ﴾[1] .
وقال : ﴿ **وربك يخلق ما يشاء ويختار** ﴾[2] .وقال : ﴿ **فعال لما يريد** ﴾[3] .
وقال : ﴿ **ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء** ﴾[4] .وقال : ﴿ **من يضلل الله فلا هادى له** ﴾[5] .وقال : ﴿ **لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون** ﴾[6] .

فيجوز فى حقه تعالى عقلاً تعذيب المطيع عدلاً منه لأن الخالق للطاعة مع تنزهه عن الانتفاع بها وإنما ينتفع بها العبد الذى وفقه الله لكسبها ، وإثابة العاصى فضلاً منه لأنه الخالق للمعصية مع تنزهه عن التضرر بها ، وإنما يتضرر بها من خذله الله باكتسابها عدلاً منه .قال تعالى : ﴿ **ووجدوا ما عملوا حاضرًا ولا يظلم ربك أحدًا** ﴾[7] .وقال: ﴿ **من عمل صالحًا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد** ﴾[8] .

(1) سورة الحديد : (٢٩) .
(2) سورة القصص : (٦٨) .
(3) سورة هود : (١٠٧) .
(4) سورة إبراهيم : (٤) .
(5) سورة الأعراف : (١٨٦) .
(6) سورة الأنبياء : (٢٣) .
(7) سورة الكهف : (٤٩) .
(8) سورة فصلت : (٤٦) .

وقال : ﴿وإن تبدو ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شئ قدير ﴾ [١] . وقال : ﴿ إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز﴾ [٢] .

وفى الحديث القدسى : « يا بنى آدم ما خلقتكم لأستكثر بكم من قلة ولا لأستأنس بكم من وحشه ، ولا لأستعين بكم من وحدة على أمر عجزت عنه ، ولا لجر منفعة ، ولا لدفع مضرة ، بل خلقتكم لتعبدونى طويلاً ، وتشكرونى كثيراً ، وتسبحونى بكرة وأصيلاً ، ولو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم وحيكم وميتكم وصغيركم وكبيركم وحركم وعبدكم ، اجتمعوا على طاعتى ما زاد ذلك فى ملكى مثقال ذرة ، ولو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم وحيكم وميتكم وصغيركم وكبيركم وحركم وعبدكم اجتمعوا على معصيتى ما نقص ذلك من ملكى مثقال ذرة» .

وقال تعالى : ﴿ ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغنى عن العالمين ﴾[٣] .

وهم الفقراء إليه وهو الغنى الحميد .

ومن الجائز رؤيته تعالى بالأبصار وغيرها خرقًا للعادة بلا اتصال الأشعة به تعالى ولا كيفية ولا انحصار فى جهة .

قال الله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة ﴾[٤] ومن الجائز إنزال الكتب وإرسال الرسل مبينين للناس ما نزل إليهم مبشرين الطائعين بالجنة والنعيم ، ومنذرين العاصين بالنار والعذاب الأليم .

قال تعالى : ﴿ نزل عليك الكتاب بالحق مصدقًا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان ﴾[٥] . وقال : ﴿ الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ﴾[٦] . وقال : ﴿ تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ﴾ [٧] .

---

(١) سورة البقرة : (٢٨٤) .
(٢) سورة إبراهيم : (١٩) .
(٣) سورة العنكبوت : (٦) .
(٤) سورة القيامة : (٢٢، ٢٣) .
(٥) سورة آل عمران : (٣) .
(٦) سورة الكهف : (١) .
(٧) سورة الفرقان : (١) .

وقال : ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبيانًا لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾[١] . وقال : ﴿ رسلاً مبشرين ومنذرين ﴾[٢] .

هذا . ومما تقدم تعلم أنه يجب على كل مكلف أن يعتقد أن الله تعالى متصف بصفات الجلال والكمال التى تليق بعظمته تعالى ، الواردة فى الكتاب العزيز والسنة المطهرة ، وأنه تعالى منزه عن كل نقص وعن مشابهة الحوادث ، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا .

والله تعالى أعلم

س :

ما فضل الدعاء ؟

جـ :

الدعاء ذكر وزيادة وقد ورد الأمر به .

قال تعالى : ﴿ وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ﴾ [٣] .

وعن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : « من لم يسأل الله يغضب عليه » .

[أخرجه الترمذى ، وكذا ابن ماجة بلفظ : « من لم يدع الله سبحانه غضب عليه وكذلك أخرجه الحاكم وصححه]

وقد ورد فى فضل الدعاء عدد من الأحاديث منها :

ما رواه النعمان بن بشير رضى الله عنه أن النبىﷺ قال : « الدعاء هو العبادة» .

ثم قرأ : ﴿ وقال ربكم ادعونى أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين ﴾ .

[أخرجه أحمد والأربعة وقال الترمذى حسن صحيح ، وابن حبان والحاكم وصححاه]

---

(١) سورة النحل : (٨٩) .
(٢) سورة النساء : (١٦٥) .
(٣) سورة غافر . (٦٠)

وعن أنس مرفوعًا : « الدعاء مخ العبادة » .   [أخرجه الترمذي]

وعنه مرفوعًا : « لا يرد الدعاء بين الأذان والإقامة » .

[أخرجه أحمد والثلاثة وحسن الترمذي وزاد]

قالوا : فما نقول يا رسول الله ؟

قال : « سلوا الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة » .

وعن شداد بن أوس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « سيد الاستغفار أن تقول : اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت ، خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك عليّ ، وأبوء لك بذنبي ، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، من قالها من النهار موقنًا بها فمات من يومه قبل أن يمسي ، فهو من أهل الجنة ، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح ، فهو من أهل الجنة » .

[أخرجه أحمد والبخاري والدارمي والثلاثة]

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح : « اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة ، اللهم إني أسألك العفو في ديني ودنياي وأهلي ومالي ، اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بك أن أغتال من تحتي » .

[أخرجه النسائي وابن ماجة واللفظ له والحاكم وصححه]

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ علمها هذا الدعاء : « اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم . وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ، ما علمت منه وما لم أعلم . اللهم إني أسألك من خير ما سألك عبدك ونبيك ، وأعوذ بك من شر ما عاذ به عبدك ونبيك ، اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل ، وأسألك أن تجعل كل قضاء قضيته لي خيرًا » .

[أخرجه ابن ماجة وأحمد وابن حبان والحاكم وصححاه]

س:

ما البعث ؟

جـ:

البعث هو إحياء الموتى ، قال تعالى : ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده وعدًا علينا إنا كنا فاعلين ﴾[١] .

وقال : ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ﴾[٢] ، وأهون أي هين .

وقال تعالى : ﴿ وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ۞ قل يحييها الذي أنشأها أول مرة ﴾[٣] .

وعن كعب بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إنما نسمة المؤمن طير يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه » .

[أخرجه مالك وأحمد والنسائي وابن ماجة والبيهقي بسند صحيح]

وعن أبي رزين العقيلي قال : قلت يا رسول الله كيف يعيد الله الخلق وما آية ذلك ؟

قال : « أما مررت بوادي قومك جدبًا ، ثم مررت به يهتز خضرًا » ؟

قلت : نعم .

قال : « فتلك آية الله في خلقه، كذلك يحيي الله الموتى » .

[أخرجه أحمد وأبو الحسن رزين بن معاوية والطبراني]

والمعنى : أما مررت بوادي قومك حال خلوه من النبات ثم مررت به بعد أن اخضر بالنبات ؟ كذلك يحيي الله الموتى يوم القيامة .

---

(١) سورة الأنبياء : (١٠٤) .
(٢) سورة الروم : (٢٧) .
(٣) سورة يس : (٧٨) .

س:

ما الحشر ؟

جـ:

الحشر هو سوق الناس إلى مكان الحساب فتجتمع الوفود فى هذا اليوم المشهود ليُسأل كل عن عمله .

قـال تعـالى : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ كل امرئ بما كسب رهين ﴾(٢) .

وقال : ﴿ أفلا يعلم إذا بعثر ما فى القبور وحصل ما فى الصدور ﴾(٣) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : خطب رسول الله ﷺ فقال : « يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله تعالى حفاة عراة غرلا » . ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين ﴾ (٤) .

ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، ألا وإنه سيجاء برجال من أمتى فيؤخذ بهم ذات الشمال ، فأقول : يارب أصحابى . فيقال : إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك .

فأقول كما قال العبد الصالح : ﴿ وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم . . . إلى قوله : العزيز الحكيم ﴾(٥) .

قال : « فيقال لى : إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم . فأقول سُحقًا سُحقًا » .

[أخرجه الشيخان والنسائى والترمذى]

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صنف مشاة ، وصنف ركبان ، وصنف على وجوههم ، قيل يا رسول الله : كيف يمشون على وجوههم » ؟

(١) سورة الزلزلة : (٧ ، ٨) . (٢) سورة الطور : (٢١) . (٣) سورة العاديات : (٩ ، ١٠) .
(٤) سورة الأنبياء : (١٠٤) . (٥) سورة المائدة : (١١٧ ، ١١٨) .

قال : « إن الذى أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشيهم على وجوههم ، أما إنهم يتقون بوجوهم كل حدب وشوك » . [أخرجه أحمد وأبو داود والترمذى]

س:

تريد حديثًا عن كيفية الحساب وماهيته ؟

جـ:

الحساب هو توقيف الله تعالى عباده قبل الانصراف من المحشر على أعمالهم ، أقوالاً وأفعالاً واعتقادات تفصيلاً بعد أخذهم كتبهم إلا من استثنى .

وكيفية التوقيف أمر غيبى ، والناس فيه متفاوتون .

فمنهم من يحاسب حسابًا يسيراً يُعرض عمله عليه ، فيطلعه الله على سيئاته سراً بحيث لا يطلع عليها أحد ثم يعفو عنه ويأمر به إلى الجنة .

ومنهم من يناقش الحساب ، بأن يُسأل عن كل جزئية ، ويطالب بالعذر والحجة فلا يجد عذراً ولا حجة ، فيهلك مع الهالكين ، ويأمر الله تعالى مناديًا يتادى عليه بسيئات أعماله ، فيفتضح بين الخلائق .

فعليك أيها العاقل أن تُحاسب نفسك قبل أن تُحاسب ، وتبادر بالأعمال الصالحة قبل الفوات ، وتصل ما بينك وبين ربك بامتثال أوامره واجتناب نواهيه وتؤمن بالحساب وتستعد له .

قال الله تعالى : ﴿ وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾(١) .

وقال : ﴿ ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدًا ﴾(٢) . وقال : ﴿ ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين ﴾ (٣) . وقال : ﴿ اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾ .(٤)

(١) سورة الأنبياء : (٤٧) . (٢) سورة الكهف : (٤٩) .
(٣) سورة الأنعام : (٦٢) . (٤) سورة الإسراء : (١٤) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو شئ منه فليتحلله من اليوم من قبل ألا يكون دينار ولا درهم ، وإن كان له عمل صالح أُخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم يكن له حسنات أُخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه » . [أخرجه أحمد والبخاري والترمذي]

وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء ، ويسأل الحجر لم نكب على الحجر ولم نكأ الرجل الرجل »؟

قال : وكنا نسمع أن الرجل يتعلق بالرجل يوم القيامة وهو لا يعرفه .

فيقول : « كنت تراني على الخطأ وعلى المنكر ولا تنهاني » .

[أخرجه مسلم والترمذي ورزين]

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « من نوقش الحساب عُذب . فقلت : أليس يقول الله » : ﴿ فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا وينقلب إلى أهله مسرورا ﴾(1) ؟ فقال : « إنما ذلك العرض ، وليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك » . [أخرجه الشيخان والترمذي وأبو داود]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته . فإن صلحت فقد أفلح وأنجح ، وإن فسدت فقد خاب وخسر . فإن انتقص من فريضته شئ ، قال الرب تبارك وتعالى : انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل بها ما انتقص من الفريضة »، ثم يكون سائر عمله على ذلك

[أخرجه النسائي وابن ماجه والترمذي وقال هذا حديث حسن غريب]

وعن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيم أفناه ؟ وعن علم فيم فعل فيه ؟ وعن ماله من أين اكتسبه ؟ وفيم أنفقه ؟ وعن جسمه فيم أبلاه » ؟

[أخرجه الترمذي وقال : هذا حديث حسن صحيح ، والطبراني وأبو نعيم في الحلية]

(1) سورة الإنشقاق : (٧-٩) .

وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله ﷺ : « يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول الله تعالى له : ألم أجعل لك سمعًا وبصراً ومالاً وولداً وسخرت لك الأنعام والحرث وتركتك ترأس وتربع ؟ أكنت تظن أنك ملاقي يومك هذا ؟ فيقول : لا .

فيقول له : « اليوم أنساك كما نسيتني » .

[أخرجه الترمذي وقال : هذا حديث صحيح غريب]

هذا واعلم أيها الأخ المسلم أن سيشهد على العاصي أحد عشر شاهدًا في هذا اليوم المشهود :

اللسان ، والأيدي ، والأرجل ، والسمع ، والبصر ، والجلد ، والأرض ، والليل ، والنهار ، والحفظة الكرام ، والمال .

قال تعالى: ﴿ يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ﴾(1) .

وقال تعالى : ﴿ ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون * حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون ﴾(2) .

وقال : ﴿ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ﴾(3) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ يومئذ تحدث أخبارها ﴾(4)

فقال : « أتدرون ما أخبارها » ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم .

قال : فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها ، أن تقول عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا . قال : « فهذه أخبارها » .

[أخرجه أحمد والترمذي وصححه]

(1) سورة النور : (٢٤) .

(2) سورة فصلت : (١٩-٢٠) .

(3) سورة ق : (٢١) .

(4) سورة الزلزلة : (٤) .

وعن الحارث بن يزيد قال : سمعت ربيعة الجرشي أن النبي ﷺ قال : «تحفظوا من الأرض فإنها أمكم وإنه ليس من أحد عامل عليها خيراً أو شراً إلا وهي مخبرة» . [أخرجه الطبراني]

وعن أنس رضى الله عنه قال : ضحك رسول الله ﷺ فقال : « هل تدرون مم أضحك » ؟

قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : من مخاطبة العبد ربه فيقول يارب ألم تجرنى من الظلم ؟

يقول : بلى .

فيقول : إنى لا أجيز اليوم على نفسى شاهدًا إلا منى .

فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا والكرام الكاتبين شهوداً .

فيختم على فيه ويقول لأركانه : « انطقى ، فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام ، فيقول : بُعداً لكُنَّ وسُحقًا فعنكن كنت أُناضل » . [أخرجه مسلم]

وفى الحديث :

« ما من يوم يأتى على ابن آدم إلا ينادى فيه : يا ابن آدم أنا خلق جديد وأنا فيما تعمل عليك شهيد فاعمل خيراً أشهد لك به غداً فإنى لو مضيت لن ترانى أبداً، ويقول الليل مثل ذلك » . [أخرجه أبو نعيم]

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « إن هذا المال خضر حلو ، ونعم هو لمن أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل ، وإنه من يأخذه بغير حقه كان كالذى يأكل ولا يشبع ، ويكون عليه شهيداً يوم القيامة » . [أخرجه مسلم]

والحكمة فى ذلك أن يعلم المرء أن لا ظلم فى ذلك اليوم ، وإظهار مراتب أصحاب الكمال ، فيزدادون سروراً على سرورهم ، وإظهار فضائح أصحاب الشمال فيزدادون حسرة وندامة . نسأل الله السلامة .

والله تبارك وتعالى أعلم

س:

ما الميزان ؟

جـ:

هو ذو كفتين ولسان (كالميزان المعهود) توزن فيه أعمال من يحاسب بقدرة الله تعالى دفعة واحدة ، والصحف مثاقيل الذر والخردل ، تحقيقًا لإظهار تمام العدل قال تعالى : ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئًا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾[1] .

وقال : ﴿ فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون ﴾[2] .

قال : ﴿ فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية * وأما من خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ما هية نار حامية ﴾[3] .

وقالت عائشة رضى الله عنها : ذكرت النار فبكيت .

فقال رسول الله ﷺ : « ما يبكيك » ؟ قلت : ذكرت النار فبكيت ، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة ؟

فقال رسول الله ﷺ : « أما فى ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحداً عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل ، وعند الكتاب حين يقال: ﴿ هاؤم اقرءوا كتابيه ﴾[4] حتى يعلم أين يقع كتابه ، أفى يمينه أم فى شماله أم من وراء ظهره ؟ وعند الصراط إذا وضع بين ظهرى جهنم حتى يجوز » . [أخرجه أبو داود]

وعن ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : « إن الله عز وجل يستخلص رجلاً من أمتى على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعين سجلاً ، كل سجل مد البصر » .

فيقول : أتنكر من هذا شيئًا ؟

(١) سورة الأنبياء : (٤٧)
(٢) سورة الأعراف : (٨)
(٣) سورة القارعة : (٦ - ٧)
(٤) سورة الحاقة : (١٩)

فيقول : لا يارب . فيقول : أظلمك كتبتى الحافظون ؟ فيقول : لا يارب . فيقول : أفلك عذر أو حسنة ؟ فيقول : لا يارب . فيقول الله عز وجل : بلى إن لك عندنا حسنة ، وإنه لا ظلم عليك اليوم . فيخرج له بطاقة فيها : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . فيقول : احضر وزنك . فيقول : يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقول : إنك لن تظلم . فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، ولا يثقل مع اسم الله تعالى شئ » .

[أخرجه أحمد وابن ماجة والترمذى وقال : هذا حديث حسن غريب ، والبيهقى والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم] .

وقالت عائشة رضى الله عنها : جاء رجل فقال يا رسول الله : إن لى مملوكين يكذبوننى ويخونوننى ويعصوننى وأشتمهم وأضربهم فكيف أنا منهم .

فقال رسول الله ﷺ : « إذا كان يوم القيامة يحسب ما خانوك وكذبوك وعصوك ،وعقابك إياهم ، فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافًا ، لا لك ولا عليك ، وإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم ، كان فضلاً لك ، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل » . قال : فتنحى الرجل يبكى ويهتف .

فقال رسول الله ﷺ : أما تقرأ كتاب الله عز وجل : ﴿ وتضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفسى شيئًا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ (١). فقال الرجل : « والله يا رسول الله ما أجد لى ولهؤلاء شيئًا خيراً من مفارقتهم، أشهدكم أنهم كلهم أحرار » . [أخرجه أحمد والترمذى وقال: حديث غريب]

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان فى الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم » . [أخرجه أحمد والشيخان والترمذى وابن ماجة]

ومما تقدم يُعلم أنه يوزن عمل كل من يُحاسب حتى من لا حسنة له ليزداد خزيًا على رءوس الأشهاد ، وبالوزن يظهر العدل فى العذاب والعفو عن الآثام .

والله تبارك وتعالى أعلم

(١) سورة الأنبياء : (٤٧) .

س :

ما الصراط ؟

جـ :

الصراط هو جسر ممدود على ظهر جهنم يمر عليه الأولون والآخرون كل بحسب عمله ، فمنهم من يمر كلمح البصر ، ومنهم من يمر كالبرق ، ومنهم من يمر كالريح العاصف ، وناس كالجواد(١) ، وناس هرولة ، وناس صبواً ، وناس زحفًا وناس يتساقطون فى النار ، وعلى جوانبه كلاليب لا يعلم عددها إلا الله تخطف بعض الخلائق .

قال تعالى : ﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتمًا مقضيًا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾ (٢).

قال ابن مسعود : الصراط على جهنم مثل حد السيف ، فتمر الطبقة الأولى كالبرق ، والثانية كالريح ، والثالثة كأجود الخيل ، والرابعة كأجود البهائم ، ثم يمرون والملائكة يقولون: « اللهم سلم سلم » . [أخرجه ابن جرير]

وقال السدى : سألت مرة الهمدانى عن قوله تعالى : ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾؟ فحدثنى عن ابن مسعود أن النبى ﷺ قال : « يرد الناس النار ثم يصدرون عنها بأعمالهم فأولهم كلمح البرق ثم كالريح ثم كحضر الفرس ثم كالراكب المسرع ثم كشد الرجل ثم كمشيه » . [أخرجه الترمذى وحسنه]

ولشدة الهول حينئذ يقول المؤمنون : رب سلم سلم .

روى المغيرة بن شعبة أن النبى ﷺ قال : « شعار المؤمنين على الصراط يوم القيامة : رب سلم سلم » . [أخرجه الترمذى والحاكم وصححاه]

وعن ابن مسعود رضى الله عنه فى قوله تعالى : ﴿ يسعى نورهم بين أيديهم ﴾ (٣). قال : « على قدر أعمالهم يمرون على الصراط . منهم من نوره مثل

(١) الجواد : النجيب من الخيل . (٢) سورة مريم : (٧١) . (٣) سورة الحديد : (١٢)

الجبل ، ومنهم من نوره مثل النخلة ، ومنهم من نوره مثل الرجل القائم ، وأدناهم نورا: من نوره فى إبهامه يتقد مرة ويطفأ مرة » . [أخرجه ابن أبى حاتم وابن جرير]

والله تبارك وتعالى أعلم

س:

نرجو حديثًا وافيًا عن حوض رسول الله ﷺ ؟

جـ:

يجب الإيمان بأن لكل حوضًا يرده الطائعون من أمته ، وأن حوض النبى ﷺ أكبرها وأعظمها ، طوله مسيرة شهر ، مربع الشكل ، له ميزابان يصبان فيه من الكوثر ، ماؤه أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل ، كيزانه أكثر من نجوم السماء، من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدًا ظمأ ألم ، ولو دخل النار يعذب بغير العطش، ويكون شربه منه أو من غيره كالتسنيم بعد ذلك لمجرد اللذة ، يرده الأخيار، وهم المؤمنون بالنبى ﷺ ، الآخذون بسنته ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ويطرد عنه الكفار والمبتدعة ، الآخذون بالتحسين والتقبيح العقليين ، وكل من تعامل بالربا ، أو جار فى الأحكام ، أو أعان ظالمًا ، أو جاوز حدًا من حدود الله تعالى .

وما ذكر ثابت بأحاديث مشهورة تفيد التواتر المعنوى،منها:حديث سمرة بن جندب قال:قال رسول الله ﷺ: « **إن لكل نبى حوضًا ، وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة ، وإنى أرجو أن أكون أكثرهم واردة** » .

[أخرجه الترمذى وقال: حديث حسن غريب]

وحديث ابن عمرو أن النبى ﷺ قال : « **حوضى مسيرة شهر ، وزواياه سواء، وماؤه أبيض من اللبن ، وريحه أطيب من ريح المسك ، وكيزانه كنجوم السماء ، من يشرب منه فلا يظمأ أبدًا** » . [أخرجه الشيخان]

وقال أنس رضى الله عنه : **بينما رسول الله ﷺ فى المسجد إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه ضاحكًا ، فقيل : ما أضحكك يا رسول الله ؟**

قال : نزلت علىّ سورة آنفًا ، فقرأ : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم . إنا أعطيناك الكوثر ﴾ (1) حتى ختمها . قال : **أتدرون ما الكوثر ؟**

قلنا : الله ورسوله أعلم .

قال : **إنه نهر وعدنيه ربى عز وجل عليه خير كثير ، وهو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة ، آنيته عدد نجوم السماء فيختلج العبد منهم فأقول : ربى إنه من أمتى . فيقول : ما تدرى ما أحدث بعدك** . [أخرجه أحمد والخمسة]

وقد صحح الإمام حجة الإسلام الغزالى أن الحوض قبل الصراط ، وكذا القرطبى وقال : المعنى يقتضيه ، فإن الناس يخرجون من قبورهم عطاشًا فناسب تقديم الحوض ، وأيضًا فإنه من جاز الصراط لا يتأتى طرده عن الحوض فقد تكملت نجاته .

ورجح القاضى عياض أنه بعد الصراط ،وأن الشرب منه يقع بعد الحساب والنجاة من النار ، ويؤيده من جهة المعنى أن الصراط يسقط منه من يسقط من المؤمنين ويخدش فيه من يخدش ، ووقوع ذلك للمؤمن بعد شربه من الحوض بعيد فناسب تقديم الصراط حتى إذا خلص من خلص شرب من الحوض .

وقيل : يشهد له ما تقدم من أن للحوض ميزابين يصبان فيه من الكوثر . ولو كان قبل الصراط لحالت النار بينه وبين وصول ماء الكوثر إليه ولكن وصول ذلك ممكن ، والله على كل شىء قدير .

ويمكن الجمع بأن يكون الشرب من الحوض قبل الصراط لقوم ، وبعده لآخرين بحسب ما عليهم من الذنوب حتى يهذبوا منها على الصراط .

هذا ، ولو يقم دليل صريح على شئ مما ذكر ، فالواجب اعتقاده هو أن النبى ﷺ حوضًا تعدد أو اتحد ، تقدم على الصراط أو تأخر . ولا يضرنا جهل ذلك.

(1) سورة الكوثر : (1) .

وقد - ، فى رواية لأحمد عن الحسن عن أنس أن فيه من الأباريق أكثر من عدد نجوم السماء ، وهذا إشارة إلى غاية الكثرة .

والله تبارك وتعالى اعلم

س:

تريد حديثًا مستفيضًا عن الكوثر ؟

جـ:

قيل هو : الحوض . والأخبار فيه مشهور .

والمعروف المستفيض عند السلف والخلف أنه نهر فى الجنة أعطاه الله النبى ﷺ .

روى ابن عمر أن النبى ﷺ قال : « **الكوثر نهر فى الجنة ، حافتاه الذهب ، والماء يجرى على اللؤلؤ ، وماؤه أشد بياضًا من اللبن ، وأحلى من العسل** » .

[أخرجه أحمد والبخارى والترمذى وقال : هذا حديث حسن صحيح]

وعن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « **دخلت الجنة فإذا أنا بنهر حافتاه خيام اللؤلؤ ، فضربت بيدى إلى ما يجرى فيه الماء فإذا مسك أذفر ، فقلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذى أعطاكه الله عز وجل** » .

[أخرجه أحمد ومسلم والنسائى والترمذى وكذا البخارى بلفظ]

« **لما عرج بالنبى ﷺ إلى السماء قال : أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ مجوف ، فقلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر** » .

وعنه أيضًا : أن رجلاً قال : يا رسول الله ، ما الكوثر ؟

قال : « **هو نهر فى الجنة أعطانيه ربى ، لهو أشد بياضًا من اللبن ، وأحلى من العسل ، فيه طيور أعناقها كأعناق الجزر** » .(1) قال عمر : يا رسول الله ، إنها لناعمة .

(1) الجزر : جمع جزور وهو ما يصلح لأن يذبح من الإبل .

قال : **أكلتها أنعم منها يا عمر** .

وقال ابن عباس ومجاهد : الكوثر : الخير الكثير فى الدنيا والآخرة ذكره ابن جرير وقال : هذا التفسير يعم النهر وغيره ، لأن الكوثر من الكثرة .

وقال عطاء بن السائب : قال لى محارب بن دثار : ما قال سعيد بن جبير فى الكوثر ؟ قلت : حدثنا عن ابن عباس أنه قال : هو الخير الكثير . فقال : صدق والله إنه للخير الكثير .

والله تبارك وتعالى اعلم

س:

ما الشفاعة ؟

جـ:

الشفاعة لغة هى : الوسيلة والطلب . وعرفًا : سؤال الخير للغير ، وهى تكون من الأنبياء والعلماء العاملين والشهداء والصالحين .

روى عثمان بن عفان رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « **يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء** » . [أخرجه ابن ماجة]

يشفع كل لأهل الكبائر على قدر منزلته عند الله تعالى .

ولا يلهم أحد ممن ذكر الشفاعة فى إخراج أحد من النار إلا بعد انقضاء المدة المحتمة عند الله تعالى .

والحق أن الشفاعة من باب القضاء المعلق فنفعها ظاهرى .

هذا واعلم أن النبى ﷺ هو أول فاتح لباب الشفاعة يفتحه بالشفاعة فى فصل القضاء .

وهى الشفاعة العظمى المختصة به التى يغبطه بها الأولون والآخرون : وهى المقام المحمود المشار إليه بقوله تعالى : ﴿ **عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا** ﴾(1)

(1) سورة الإسراء ، (٧٩) .

قال أبو هريرة رضى الله عنه : سئل النبى ﷺ عن المقام المحمود فى الآية ، فقال : « **هو المقام الذى أشفع لأمتى فيه** » .

[أخرجه أحمد والترمذى وحسنه]

وعن ابن عمر أن النبى ﷺ قال : « **إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن ، فبينما هم كذلك ، استغاثوا بآدم فيقول : لست بصاحب ذلك، ثم بموسى فيقول كذلك ، ثم بمحمد** ﷺ **. فيشفع ليقضى بين الخلق ، فيمشى حتى يأخذ بحلقة باب الجنة ، فيومئذ يبعثه الله مقامًا محمودًا يحمده أهل الجمع كلهم** » .

[أخرجه البخارى وابن جرير]

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **لكل نبى دعوة مستجابة فتعجل كل نبى دعوته وإنى أختبئ دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة فهى نائلة إن شاء الله تعالى من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئًا** » .

[أخرجه مالك والشيخان والترمذى وابن ماجة]

وعن جابر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: « **شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى** »

[أخرجه أحمد وابن ماجة وأبو داود والترمذى وقال : غريب ، وزاد]

قال جابر : « **من لم يكن من أهل الكبائر فماله وللشفاعة** » ؟ .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « **أنا سيد الناس يوم القيامة هل تدرون مم ذلك** » ؟ **يجمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد فينظرهم الناظر ويسمعهم الداعى وتدنو منهم الشمس ، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون ، فيقول الناس : ألا ترون إلى ما أنتم فيه ؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ؟**

فيقول بعضهم لبعض : عليكم بآدم ، فيأتونه فيقولون له : أنت أبو البشر خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكته ، وأسكنك الجنة . اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه وما بلغنا ؟

فيقول آدم عليه السلام : إن ربى غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن

يغضب بعده مثله ، وإنه نهانى عن الشجرة فعصيته ، نفسى نفسى نفسى ، اذهبوا إلى غيرى ، اذهبوا إلى نوح ، فيأتون نوحًا عليه السلام فيقولون : يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وقد سماك الله عبدًا شكورًا ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فيقول : إن ربى غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنى قد كانت لى دعوة دعوتها على قومى ، نفسى نفسى نفسى، اذهبوا إلى غيرى ، أذهبوا إلى ابراهيم عليه السلام فيقولون : أنت نبى الله وخليله من أهل الأرض ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟

فيقول : إنّ ربى قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنى قد كنت كذبت ثلاث كذبات فذكرها ، نفسى نفسى نفسى ، اذهبوا إلى غيرى ، اذهبوا إلى موسى عليه السلام فيأتون إبراهيم عليه السلام فيأتون موسى عليه السلام فيقولون: أنت رسول الله فضّلك برسالته وبكلامه على الناس ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟

فيقول : إن ربى قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإنى قتلت نفسًا لم أومر بقتلها ، نفسى نفسى نفسى ، اذهبوا إلى غيرى ، اذهبوا إلى عيسى عليه السلام ، فيأتون عيسى عليه السلام فيقولون : أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وكلمت الناس فى المهد ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟

فيقول : إن ربى قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله (ولم يذكر ذنبًا) نفسى نفسى نفسى ، اذهبوا إلى غيرى ، اذهبوا إلى محمد ﷺ ، فيأتوننى فيقولون : أنت رسول الله وخاتم الأنبياء ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فأنطلق إلى تحت العرش فأقع ساجدًا لربى ، ثم يفتح الله علىّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه على أحد قبلى ، ثم يقال : يا محمد ارفع رأسك وسل تعطه ، واشفع تُشفع ، فأرفع رأسى فأقول : أمتى يارب ، أمتى يارب ، فيقال : يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سوى

ذلك من الأبواب . ثم قال : والذى نفسى بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر ، أو كما بين مكة وبصرى . [أخرجه أحمد والشيخان والترمذى]

فعلى المكلف أن يعتقد أن نبينا ﷺ شافع مقبول الشفاعة ، وأنه أول شافع ، وأول من يقضى بين أمته ، وأنه أول من يجوز على الصراط بأمته .

روى أبو هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع وأول مشفع » .

[أخرجه مسلم وأبو داود]

وللنبى ﷺ شفاعات أخرى منها : إدخال قوم من أمته الجنة بغير حساب .

ومنها : أنه يشفع فى أقوام قد أمر بهم إلى النار فيردون عنها .

ومنها : إخراج الموحدين من النار .

ويشفع لقوم فى رفع درجاتهم ، ولمن مات بالحرمين مؤمنًا ، ولمن سأل الوسيلة بعد إجابة المؤذن ، ولعمه أبى طالب فى إخراجه من غمرات النار إلى ضحضاح يصل إلى كعبيه .

روى أبو سعيد الخدرى أن النبى ﷺ ذُكر عنده عمه أبو طالب فقال : « لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة فيجعل فى ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلى منه دماغه »

[أخرجه مسلم]

والله تبارك وتعالى أعلم

س:

نريد حديثًا عن النار ، أعاذنا الله منها ؟

جـ:

النار هى دار العذاب مخلوقة الآية فيها الزقوم والغسلين والمهل ومقامع من

حديد ، ومن أنواع العذاب مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على بال إنسان . جاء بها الكتاب والسنة . قال تعالى : ﴿ إنا أعتدنا للظالمين نارًا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه ، بئس الشراب وساءت مرتفقا ﴾ (1) .

وقال : ﴿ هذان خصمان اختصموا فى ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رءوسهم الحميم ،يصهر به ما فى بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد ﴾ (2) .

وقال : ﴿ فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ﴾ (3) .

وقال : ﴿ وبرزت الجحيم للغاوين ﴾ .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « ناركم هذه التى توقدون جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم » .قالوا : والله إن كانت لكافية يا رسول الله . قال : « فإنها فضلت بتسعة وستين جزءًا كلهن مثل حرها » .

[أخرجه مالك والشيخان والترمذي وقال حسن صحيح]

وعن الحسن عن عتبة بن غزوان أن النبى ﷺ قال : « إن الصخرة العظيمة لتلقى من شفير جهنم فتهوى فيها سبعين عامًا . ما تقضى إلى قرارها » .

وقال : كان عمر رضى الله عنه يقول : « أكثروا ذكر النار فإن حرها شديد ، وإن قعرها بعيد ، وإن مقامعها حديد» .

[أخرجه الترمذى وقال : لا نعرف للحسن سماعًا من عتبة]

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : « لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى دار الدنيا ، لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم ، فكيف بمن يكون طعامه»؟! [أخرجه أحمد والنسائى وابن ماجة والحاكم والترمذى وقال : حسن صحيح]

(1) سورة الكهف : (29) .
(2) سورة الحج : (19) .
(3) سورة البقرة : (24) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « تخرج عنق من النار يوم القيامة لها عينان تبصران ، وأذنان تسمعان ، ولسان ينطق يقول : إنى وكلت بثلاثة : بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله إلهًا آخر ، وبالمصورين » .

[أخرجه الترمذى وقال : حسن صحيح غريب]

وعن النعمان بن بشير أن النبى ﷺ قال : « إن أهون أهل النار عذابًا من له نعلان وشراكان من نار ، يغلى منهما دماغه كما يغلى المرجل ، ما يرى أن أحدًا أشد منه عذابًا ، وإنه لأهونهم عذابًا » . [أخرجه الشيخان والترمذى]

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « يلقى على أهل النار الجوع فيعدل ما هم فيه من العذاب ، فيستغيثون فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع ، فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذى غصة ، فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص فى الدنيا بالشراب فيستغيثون بالشراب ، فيدفع إليهم الحميم بكلاليب الحديد فإذا دنت من وجوههم شوت وجوههم ، فإذا دخلت بطونهم قطعت ما فى بطونهم فيقولون : ادعوا خزنة جهنم يخففون عنا ، فيدعونهم ، فيقولون ألم تك تأتيكم رسلكم بالبينات ؟ . قالوا : بلى . قالوا : فادعوا وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال . فيقولون : ادعوا مالكًا . فيقولون : يا مالك ليقضى علينا ربك . فيجيبهم : إنكم ماكثون .

قال الأعمش : نُبئت أن بين دعائهم وبين إجابة مالك إياهم ألف عام .

فيقولون : ادعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم .

فيقولون : ﴿ ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قومًا ضالين ، ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون ﴾ [1] .

قال : فيجيبهم : ﴿ اخسئوا فيها ولا تكلمون ﴾[2] .

قال : « فعند ذلك يئسوا من كل خير ، وعند ذلك يأخذون فى الزفير والشهيق

(١) سورة المؤمنون : (١٠٦) .

(٢) سورة المؤمنون : (١٠٨) .

ويدعون بالحسرة والويل والثبور » .

[أخرجه البيهقى والترمذى وقال : والناس لا يرفعون هذا الحديث]

ولهذه الأدلة أجمعت الأمة على أن النار موجودة الآن والحقيقة ممكنة ، فلا وجه للعدول عنها .

هذا واعلم أنه لا يخلد فى النار موحد ، ولو ارتكب الكبائر ، وفاء بوعده تعالى بقوله : ﴿ إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ [1] .

وقوله : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره ﴾ [2] .

واحتمال دخوله الجنة أولاً جزاء لما عمله من الخير ، ثم يدخل النار عقابًا لما عمله من الشر ، يبطله قوله تعالى : ﴿ ونزعنا ما فى صدورهم من غلٍّ إخوانًا على سُرر متقابلين لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين ﴾[3] .

وقوله تعالى : ﴿ فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴾[4] ، فهذا يدل على أن استيفاء الأجر بالنسبة لمن يدخل النار لا يكون إلا بعد الخروج منها .

وأدل من حديث أبى سعيد الخدرى أن النبى ﷺ قال : « يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار » ، ثم يقول الله تعالى : « أخرجوا من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ، فيخرجون منها قد اسودوا ، فيُلقون فى نهر الحياة ، فينبتون كما تنبت الحبة فى جانب السيل . ألم تر أنها صفراء ملتوية » . [أخرجه الشيخان والنسائى]

وحديث أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزن شعيرة من خير ، ويخرج من النار كل من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزن برة من خير ، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزن ذرة من خير » . [أخرجه أحمد والشيخان والنسائى وابن ماجة والترمذى وقال : حسن صحيح]

والله تبارك وتعالى أعلم

(١) سورة النساء : (١١٦) .

(٢) سورة الزلزلة : (٧) .

(٣) سورة الحجر : (٤٧ ، ٤٨) .

(٤) سورة آل عمران : (١٨٥) .

س:

نريد حديثًا عن الجنة ، جمعنا الله وإياكم وكل الموحدين بها ؟

جـ:

الجنة هى دار الثواب والنعيم المقيم ، فيها الحور العين ، والولدان ، ولحم الطير ، والفواكه والأنهار الجارية من الماء واللبن والعسل والخمر والسرر والحرير والذهب وما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

جاء بها الكتاب والسنة ، قال تعالى : ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا * خالدين فيها لا يبغون عنها حولا** ﴾ (1) .

وقال تعالى : ﴿ **وأزلفت الجنة للمتقين** ﴾(2) .

أى قربت لهم بحيث يشاهدونها في الموقف ، ويعرفوه ما فيها فتحصل لهم البهجة والسرور وقال : ﴿ **وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى * فإن الجنة هى المأوى** ﴾(3) .

وقال : ﴿ **وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين** ﴾ (4) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : قال الله تعالى : «**أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**» .

قال أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم : ﴿ **فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين** ﴾(5) [أخرجه الشيخان والترمذى وابن ماجة وزاد البخارى فى رواية: وقال محمد ابن كعب : إنهم أخفوا لله عملا فأخفى لهم ثوابًا . فلو قدموا عليه ، أقر تلك الأعين]

وعنه قال : قلت يا رسول الله : الجنة ما بناؤها ؟

(1) سورة الكهف : (107) .
(2) سورة الشعراء : (90) .
(3) سورة النازعات : (40 ، 41) .
(4) سورة آل عمران : (133) .
(5) سورة السجدة : (17) .

قال : « **لبنة من فضة ولبنة من ذهب وملاطها المسك الأذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت ، وترابها الزعفران ، من يدخلها ينعم ولا ييأس ، ويخلد ولا يموت ، لا تبلى ثيابهم ، ولا يفنى شبابهم** » .

[الحديث أخرجه أحمد والدارمى والبزار وابن حبان والترمذى]

وعنه أن النبى ﷺ قال : « **إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب درى فى السماء إضاءة ، لا يبولون ، ولا يتغوطون ، ولا يتفلون ولا يتمخطون ، أمشاطهم الذهب ، ورشحهم المسك ، ومجامرهم الألوة ، أزواجهم الحور العين على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعًا فى السماء** » . [أخرجه أحمد والشيخان والترمذى وابن ماجة]

وعن أبى سعيد الخدرى أن النبى ﷺ قال : « **المؤمن إذا اشتهى الولد فى الجنة كان حمله ووضعه وسنه فى ساعة كما يشتهى** » .

[أخرجه أحمد وابن ماجة والدارمى والترمذى وقال : حسن غريب]

وقد اختلف أهل العلم فى هذا . فقال بعضهم : فى الجنة جماع ولا يكون ولد .

وقال محمد يعنى البخارى : وقد روى عن أبى رزين العقيلى عن النبى ﷺ قال : « **إن أهل الجنة لا يكون لهم فيها ولد** » .

وعن أسامة بن زيد أن النبى ﷺ قال ذات يوم لأصحابه :

« **ألا مشمر للجنة ؟ فإن الجنة لا خطر لها هى ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز ، وقصر مشيد ، ونهر مطرد ، وفاكهة كثيرة نضيجة ، وزوجة حسناء جميلة ، حلل كثيرة فى مقام أبدًا فى حبرة ونضرة فى دور عالية سليمة بهية ، قالوا : نحن المشمرون لها يا رسول الله . قال قولوا إن شاء الله . ثم ذكر الجهاد وحض عليه** »

[أخرجه ابن ماجة وابن حبان]

وعن سعيد بن المسيب أنه لقى أبا هريرة فقال أبو هريرة : أسأل الله أن يجمع

بينى وبينك فى سوق الجنة . قال سعيد : أو فيها سوق ؟ قال : نعم . أخبرنى رسول الله ﷺ أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم ، فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا . فيزورون الله عز وجل ، ويبرز لهم عرشه ويتبدى لهم فى روضة من رياض الجنة ، فتوضع لهم منابر من نور ، ومنابر من لؤلؤ ، ومنابر من ياقوت ، ومنابر من زبرجد ، ومنابر من ذهب ، ومنابر من فضة ، ويجلس أدناهم – وما فيهم دنئ – على كثبان المسك والكافور ما يرون أن أصحاب الكراسى بأفضل منهم مجلسًا .

قال أبو هريرة : قلت يا رسول الله ﷺ : هل نرى ربنا ؟

قال : « **نعم هل تتمارون فى رؤية الشمس والقمر ليلة البدر** »؟ قلنا : لا .

قال : كذلك لا تتمارون فى رؤية ربكم عز وجل . ولا يبقى فى ذلك المجلس أحد إلا حاضره الله عز وجل محاضرة حتى إنه يقول للرجل منكم : ألا تذكر يا فلان يوم عملت كذا وكذا ؟ ويذكره بعض غدراته فى الدنيا . فيقول يا رب أفلم تغفر لى؟ فيقول : بلى فبسعة مغفرتى بلغت منزلتك هذه .

فبينما هم كذلك غشيتهم سحابة من فوقهم ، فأمطرت عليهم طيبًا لم يجدوا مثل ريحه شيئًا قط .ثم يقول : قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم .

قال : فنأتى سوقًا قد حفت به الملائكة . فيه ما لم تنظر العيون إلى مثله ، ولم تسمع الآذان ولم يخطر على القلوب .قال : فيحمل لنا ما اشتهينا ، ليس يباع فيها شئ ولا يشترى . وفى ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضًا .

فيقبل الرجل ذو المنزلة المرتفعة فيلقى من هو دونه – وما فيهم دنئ – فيروعه ما يرى عليه من اللباس فما ينقضى آخر حديثه حتى يتخيل عليه ما هو أحسن منه وذلك أنه لا ينبغى لأحد أن يحزن فيها .ثم ننصرف إلى منازلنا ، فتتلقانا أزواجنا فيقلن : مرحبًا وأهلاً لقد جئت وإن بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقتنا عليه . فنقول : «إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار عز وجل وبحقنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا » .

[أخرجه ابن ماجة والترمذى وقال : غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وفيه عبد الحميد كاتب الأوزاعى مختلف فيه وبقية رجاله ثقات]

وعن أبى سعيد الخدرى أن النبى ﷺ قال : « **أدنى أهل الجنة منزلة الذى له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة ، وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية إلى صنعاء** » . [أخرجه الترمذى]

وعن ابن مسعود أن النبى ﷺ قال : « **آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشى مرة ويكبو مرة وتسفعه النار مرة فإذا جاوزها التفت إليها فقال : تبارك الله الذى نجانى منك ، لقد أعطانى الله تعالى شيئًا ما أعطاه أحدًا من الأولين والآخرين فترفع له شجرة فيقول : يارب أدننى من هذه الشجرة لأستظل بها وأشرب من مائها** » .

فيقول الله : يا بن آدم لعلى أن أعطيتكها تسألنى غيرها .

فيقول : لا يارب ويعاهده ألا يسأله غيرها ، وربه يعذره لأنه يرى مالا صبر له عليه ، فيدنيه منها فيستظل بظلها ، ويشرب من مائها .

ثم ترفع له شجرة هى أحسن من الأولى . فيقول : يارب أدننى من هذه لأستظل بظلها وأشرب من مائها ، لا أسألك غيرها .

فيقول : يا بن آدم ألم تعاهدنى ألا تسألنى غيرها ؟ لعلى إن أدنيتك منها تسألنى غيرها: فيعاهده ألا يسأله غيرها ، وربه يعذره ، لأنه يرى ما لا صبر له عليه ، فيدنيه منها فيستظل بظلها ، ويشرب من مائها . ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هى أحسن من الأولين . فيقول : يارب أدننى من هذه لأستظل بظلها وأشرب من مائها ، لا أسألك غيرها .قال : بلى يارب هذه لا أسألك غيرها وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه .

فإذا أدنى منها سمع أصوات إهل الجنة ، فيقول : أى رب أدخلنى الجنة . فيقول : يابن آدم ما يصريني منك أيرضيك إن أعطيتك قدر الدنيا ومثلها معها؟ فيقول : يارب أتستهزئ بى وأنت رب العالمين ؟

فضحك ابن مسعود فقال : ألا تسألنى مم ضحكت ؟فقيل : مم تضحك ؟ فقال : هكذا ضحك رسول الله ﷺ ، فقيل : مم تضحك ؟ فقال : من ضحك رب العالمين ، حين قال: أتستهزئ بى وأنت رب العالمين ؟ فيقول : إنى لا استهزئ بك ، ولكنى على ما أشاء قادر » [أخرجه أحمد ومسلم]

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « ما منكم من أحد إلا له منزلان منزل فى الجنة ومنزل فى النار» .

فإذا مات فدخل النار ورث أهل الجنة منزله ، فذلك قوله تعالى : ﴿ أولئك الوارثون ﴾(1) . [أخرجه ابن ماجة]

والله تبارك وتعالى أعلم

س:

هل الجنة خالدة دائمة وكذلك النار أم أنهما فانيتان ؟

جـ:

يجب على كل مكلف أن يعتقد أن الجنة والنار خالدتان وأهلهما مخلدون لا يفنون . وهذا ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة . قال تعالى : ﴿ إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية * إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية* جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه * لذلك لمن خشى ربه ﴾(2) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : « إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار ، جئ بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يُذبح ثم ينادى مناد : يا أهل الجنة لا موت ، يا أهل النار لا موت » .

(1) سورة المؤمنون : (10) .
(2) سورة البينة : (6-8) .

« فيزداد أهل الجنة فرحًا إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزنًا على حزنهم » .
[أخرجه أحمد والشيخان واللفظ للبخارى]

وفى رواية : « خلود فلا موت »

والله تبارك وتعالى أعلم

س:

نريد حديثًا عن رؤية الله تبارك وتعالى ؟

جـ:

أجمع أهل السنة على أن رؤية الله تعالى ممكنة عقلاً واجبة نقلاً واقعة فى الآخرة للمؤمنين دون الكافرين بلا كيف ولا انحصار .

فيُرى سبحانه وتعالى لا فى مكان ولا جهة من مقابلة أو اتصال شعاع أو ثبوت مسافة بين الرائى وبين الله تعالى .

فإن الحق أن الرؤية قوة يجعلها الله تعالى فى خلقه ولا يشترط فيها اتصال الأشعة ولا مقابلة المرئى ولا غير ذلك .

فلا يلزم من رؤيته تعالى إثبات جهة له ، بل يراه المؤمنون لا فى جهة كما يعلمون لا فى جهة .

وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع الأمة على ذلك .

قال تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾(1) .

وقال : ﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾(2) .

وقال جرير بن عبد الله : نظر رسول الله ﷺ إلى القمر ليلة البدر فقال : إنكم سترون ربكم عيانًا كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته . فإن استطعتم أن لا

(1) سورة القيامة : (22 ، 23) .
(2) سورة المطففين : (15) .

تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ، ثم ، قرأ : ﴿ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ﴾[١] . [أخرجه السبعة إلا النسائي]

وعن صهيب أن النبي ﷺ قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى تريدون شيئًا أزيدكم » ؟ قال : فيقولون : ألم تُبيض وجوهنا ؟ ألم تُدخلنا الجنة ؟

ألم تُنجنا من النار ؟ فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم . ثم تلا : ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾[٢] .

[أخرجه مسلم والترمذي]

وكذلك فإن رؤيته تعالى في الدنيا ممكنة ، ولذا طلبها سيدنا موسى عليه السلام، فعلق الله تعالى حصولها له على استقرار الجبل حين يتجلى الله تعالىٰ عليه، فلم يستقر الجبل حينئذ ولم تحصل له عليه السلام مع إمكانها كما أشير إلى ذلك بقوله تعالى : ﴿ قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكًا وخر موسى صعقًا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين ﴾[٣] .

ولم تقع إلا للنبي ﷺ ليلة أسرى به على الراجح .

روى ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ﴾[٤] .

قال : هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسرى به ، والشجرة الملعونة في القرآن ، قال : هي شجرة الزقوم . [أخرجه البخاري والترمذي]

وبالرؤية قال ابن عباس وأبو هريرة وأحمد وأبو الحسن الأشعري وجماعة .

وأنكرتها عائشة رضي الله عنها . قال مسروق : قلت لعائشة رضي الله عنها :

(١) سورة ق : (٣٩) .
(٢) سورة يونس : (٢٦) .
(٣) سورة الأعراف : (١٤٣) .
(٤) سورة الإسراء : (٦٠) .

يا أمتاه هل رأى محمد ﷺ ربه؟ فقالت : لقد قف شعري مما قلت ، أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب ، من حدثك أن محمدًا رأى ربه فقد كذب ، ثم قرأت : ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ﴾[١] . ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب . ثم قرأت : ﴿ وما تدري نفس ماذا تكسب غدا ﴾[٢] .

ومن حدثك أنه كتم شيئًا من الوحي فقد كذب . ثم قرأت : ﴿ يا أيها الرسول بلّغ ما أُنزل إليك من ربك ﴾[٣] .

ولكن رأى جبريل في صورته مرتين . [أخرجه الشيخان والترمذي]

والمختار ما ذهب ابن عباس والجمهور : والحجج من هذه المسألة كثيرة ولكن لا نتمسك إلا بالأقوى منها وهو حديث ابن عباس رضي الله عنهما ومن وافقه .

والأصل في الباب حديث ابن عباس حبر الأمة ، والمرجع إليه في المعضلات ، وقد راجعه ابن عمر في هذه المسألة وراسله ، هل رأى محمد ﷺ ربه ؟

فأخبره أنه رآه ، ولا يقدح في هذا أثر عائشة رضي الله عنها . لأنها لم تخبر أنها سمعت النبي ﷺ يقول : لم أر ربي ، وإنما ذكرت متأولة لقول الله تعالى :

﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيًا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً ﴾[٤] . ولقول الله تعالى : ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾[٥] . والصحابي إذا قال قولاً وخالفه غيره منهم ، لم يكن قوله حجة .

فإذا صحت الروايات عن ابن عباس في إثبات الرؤية ، وجب المصير إلى إثباتها ، فإنها ليست مما يدرك بالعقل ويؤخذ بالظن ، وإنما يتلقى بالسماع ولا يستجيز أحد أن يظن بابن عباس أنه تكلم في هذه المسألة بالظن والاجتهاد ثم إنه أثبت شيئًا نفاه غيره ، والمثبت مقدم على النافي .

(١) سورة الأنعام : (١٠٣) .
(٢) سورة لقمان : (٣٤) .
(٣) سورة المائدة : (٦٧) .
(٤) سورة الشورى : (٥١) .
(٥) سورة الأنعام : (١٠٣) .

فالحاصل : أن الراجح عند أكثر العلماء أن النبى ﷺ رأى ربه بعينى رأسه ليلة الإسراء لما تقدم ، ثم إن عائشة رضى الله عنها لم تنف الرؤية بحديث ، ولو كان معها فيه حديث لذكرته ، وإنما اعتمدت الاستنباط من الآيات . فأما احتجاجها بآية : ﴿ لاتدركه الأبصار﴾ .

فجوابه :

أن الإدراك هو الإحاطة والله لا يحاط به ، ولا يلزم من نفى الإحاطة نفى الرؤية بلا إحاطة . وأما احتجاجها بآية : ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيًا ﴾ .

فجوابه : أنه لا يلزم من الرؤية وجود الكلام حال الرؤية . فيجوز حصول الرؤية بلا كلام ، أو أنه عام مخصوص بما تقدم من الأدلة .

وكل ما تقدم أخبر به الصادق الأمين محمد ﷺ . والعقل يجوزه ، فيجب الإيمان به من غير بحث فى حقيقته ، ومن أخل بشئ مما ذكر ، فسيرى جزاء تفريطه يوم الحساب والعرض على رب الأرباب .

والله تبارك وتعالى أعلم

س:

نريد حديثًا مستفيضًا عن القضاء والقدر ؟

جـ:

القضاء (لغة) الخلق والأمر والحكم . قال تعالى : ﴿ **فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها**﴾[1] . أى خلقهن . وقال تعالى : ﴿ **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه** ﴾[2] .

أى : أمر

(وعرفًا) هو الحكم الكلى الإجمالى فى الأزل ، أى وجود الأشياء فى أم الكتاب مجملة .

---

(١) سورة فصلت : (١٢) . (٢) سورة الإسراء : (٢٣)

والقدر (لغة) التقدير وهو جعل كل شئ بمقدار يناسبه بلا تفاوت .

(وعرفًا) جزئيات حكم القضاء وتفاصيله التى تقع فيما لا يزال .

قال تعالى : ﴿ **وإن من شئ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم**﴾[1] .

ومعناه : أن الله تعالى قدر الأشياء فى القدم وعلم أنها ستقع فى أوقات معلومة عنده ، وعلى صفات مخصوصة ، فهى تقع على حسب ما قدرها سبحانه وهو بهذا المعنى يعم القضاء بالمعنى السابق .

وقال الخطابى : قد يحسب كثير من الناس أن معنى القضاء والقدر إجبار الله تعالى العبد على ما قدره وقضاه ، وليس الأمر كما يتوهمونه ، وإنما معناه الإخبار عن تقدم علم الله تعالى بما يكون من اكتسابات العبد وصدورها عن تقدير من الله تعالى وخلقه لها خيرها وشرها .

والقدر اسم لما صدر مقدرًا عن فعل القادر ، ويجب الإيمان والرضا بهما لقوله تعالى : ﴿ **وخلق كل شئ فقدره تقديرًا** ﴾[2] .

وقوله : ﴿ **إنا كل شئ خلقناه بقدر** ﴾[3] .

ولقول النبى ﷺ فى حديث جبريل : « **وأن تؤمن بالقدر خيره وشره** » .

ولحديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « **المؤمن القوى خير وأحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف ، وفى كل خير ، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز وإن اصابك شئ فلا تقل : لو أنى فعلت كذا لكان كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان** » .

[أخرجه أحمد ومسلم وابن ماجة]

هذا ما عليه أهل السنة والجماعة ، فيجب على المكلف أن يعتقد أن جميع

---

(١) سورة الحجر : (٢١) .
(٢) سورة الفرقان : (٢) .
(٣) سورة القمر : (٤٩) .

أفعال العباد بقضاء الله وقدره ، وأن الله تعالى يريد الكفر من العبد ويشاؤه ، ولا يرضاه ولا يحبه له ، فيشاؤه كونًا ولا يرضاه دينًا وأن كل إنسان ميسر لما خلق له وأن الأعمال بالخواتيم فالسعيد من سعد بقضاء الله وقدره فيوفقه تعالى للعمل بالشريعة الغراء إلى أن يموت على ذلك والشقي من شقي بقضاء الله وقدره ، فيموت على الكفر والعياذ بالله تعالى .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : كنا في جنازة ببقيع الغرقد فأتانا رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله ، وبيده مخصرة فجعل ينكت بها الأرض ثم قال: **« ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ، ومقعده من الجنة »** .

فقالوا يا رسول الله : أفلا نتكل على كتابنا ؟

فقال : **« اعملوا فكل ميسر لما خُلق له ، أما من كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل السعادة وأما من كان من أهل الشقاء فسيصير إلى عمل الشقاء»** .

ثم قرأ: **﴿ فأما من أعطى واتقى * وصدق بالحسنى *فسنيسره لليسرى ﴾**[1] .

[أخرجه الخمسة إلا النسائي]

وعن جابر رضي الله عنه قال : جاء سراقة بن مالك بن جعشم رضي الله عنه فقال : يا رسول الله بيِّن لنا ديننا كأننا خُلقنا الآن فيم العمل اليوم ؟ فيما جفت الأقلام وجرت به المقادير ، أم فيما يستقبل ؟

قال : **« فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير »** .

قال : ففيم العمل ؟

قال : **« اعملوا فكل ميسر لما خلق له وكل عامل بعمله »** .

[أخرجه مسلم]

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : **« إن الرجل**

(١) سورة الليل : (٥-٧).

ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار ، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة » .

[أخرجه الشيخان وزاد البخاري : وإنما الأعمال بالخواتيم]

والأحاديث والآثار في هذا الباب كثيرة : وفيها رد على القدرية الذين يزعمون أن أفعال العباد مقدرة لهم واقعة منهم استقلالاً بواسطة الأقدار والتمكين .

وقد اتفق لشخص منهم أنه رفع رجله بحضرة رجل من أهل السُّنة وقال : إني رفعت رجلي عن الأرض بقدرتي .

فقال له السُّني : فإذًا ارفع رجلك الأخرى .

فلم يدر له جوابًا .

وفيها رد عليهم أيضًا في زعمهم أن الله يخلق الخير ولا يخلق الشر والمخالفات وهي أكثر وقوعًا من الطاعات لكان أكثر ما يجري في الوجود من أفعال العباد لا يكون بخلق الله وإيجاده ، بل بخلقهم وإيجادهم وذلك جلي البطلان ، لأن الله تعالى هو المنفرد بالخلق والتأثير على وفق علمه .

وقد قال رسول الله ﷺ : **« القدرية مجوسي هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ما توافلا تشهدوهم »** .

[أخرجه أبو داود والحاكم من حديث أبي حازم عن عمر . وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين إن صح سماع أبي حازم عن ابن عمر]

وشبههم ﷺ بالمجوس حيث فرقوا بين أفعال الله عز وجل فجعلوا بعضها له وبعضها لغيره .

قال الخطابي : إنما جعلهم ﷺ مجوسًا ، لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس في قولهم بالأصلين النور والظلمة . يزعمون أن الخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة ، فصاروا ثنوية .

وكذلك (القدرية) يضيفون الخير إلى الله تعالى والشر إلى غيره .

والله خالق الخير والشر جميعًا ، لا يكون شئ منهما إلا بمشيئته فهما مضافان إليه خلقًا وإيجادًا ، وإلى الفاعلين لهما من عباده فعلاً واكتسابًا .

وفيهـا رد أيضًا على المعتزلة الذين زعموا أن الله تعـالى شاء الإيمان من الكافر فشاء الكافر الكفر ، وهو زعم باطل فإنه يلزمه وقوع مشيئة الكافر دون مشيئة الله عز وجل .

وهذا من أقبح الاعتقاد ، إذ هو مخـالف للأدلة القطعية وفيه تعطيل لإرادة الله تعالى ، وأنه لا يقع في الكون إلا ما أراده رب العالمين وكيف وهو الذى يقول :

﴿ وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة ﴾ [1] .

وقد كان رسول الله ﷺ يقول : « **ما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن** » .

ومنشأ خطئهم التسوية بين المشيئة والإرادة وبين المحبة والرضا .

فقالت الجبرية : **الكون كله بقضائه وقدره** ، فهو محبوب مرضى .

وقالت القدرية : ليست المعاصى محبوبة ولا مرضية لله تعالى ، فليست مقدرة ولا مقضية فهى خارجة عن مشيئته وخلقه .

وقد دل على الفرق بين الإرادة والرضا الكتاب والسنة والفطرة الصحيحة .

قال تعالى : **﴿ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾** [2] . وقال تعالى : **﴿ ولو شـاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعًا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾** [3] . وقال : **﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليمًا حكيمًا ﴾** [4] . وقال : **﴿ من يشاء الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم ﴾** [5] . وقال : **﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صـدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقًا حـرجًا كأنما يصـعـد فى السماء ﴾** [6] .

(1) سورة القصص : (٦٨) .
(2) سورة السجدة : (١٣) .
(3) سورة يونس : (٩٩) .
(4) سورة الإنسان : (٣٠) .
(5) سورة الأنعام : (٣٩) .
(6) سورة الأنعام : (١٢٥) .

وقال : **﴿ ذو العرش المجيد فعال لما يريد ﴾** [1] . وقال : **﴿ والله لا يحب الفساد ﴾** [2] . وقال : **﴿ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم ﴾** [3] .

وعن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « **إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ووأد البنات ومنعًا وهات ، وكره لكم ثلاثًا : قيل وقال ، وإضاعة المال، وكثرة السؤال** » . [أخرجه مسلم]

وقال ابن عمر :

قال رسول الله ﷺ : « **إن الله تعالى يحب أن تؤتى رخصة كما يحب أن تؤتى عزائمه** » . [أخرجه أحمد والبيهقى وابن خزيمة وابن حبان]

وقال عائشة رضى الله عنها :

فقدت النبى ﷺ من الفراش فوقعت يدى على بطن قدميه وهو ساجد يقول :

« **اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك ، لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك** » .

[أخرجه مسلم والأربعة]

فتأمل استعاذته ﷺ بصفة الرضا من صفة السخط وبفعل المعافاة من فعل العقوبة . فالأول للصفة ، والثانى لأثرها المترتب عليها .

ثم ربط ذلك كله بذاته سبحانه وتعالى ، وأن ذلك كله راجع إليه وحده لا إلى غيره فهو يقول : ما أعوذ منه واقع بمشيئتك وإرادتك ، وما أعوذ به من رضاك ومعافاتك ، هو بمشيئتك وإرادتك إن شئت أن ترضى عن عبدك وتعافيه ، وإن شئت أن تغضب عليه وتعاقبه ، فأعذنى مما أكره وامنعه أن يحل بى ، وهو بمشيئتك أيضًا ، فالمحبوب والمكروه كله بقضائك ومشيئتك .

(1) سورة البروج : (١٥ ، ١٦) .
(2) سورة البقرة : (٢٠٥) .
(3) سورة الزمر : (٧) .

فإن قيل : كيف يريد الله أمراً ولا يرضاه ؟

قيل : إن المراد نوعان : مراد لنفسه ومراد لغيره .

فالمراد لنفسه مطلوب ومحبوب لذاته وما فيه من الخير .

والمراد لغيره قد لا يكون مقصوداً لمن يريد ولا فيه مصلحة له بالنظر إلى ذاته ، وإن كان وسيلة إلى مقصوده ومراده ، فهو مكروه له من حيث نفسه وذاته ، مراد له من حيث أنه وسيلة إلى مراده ، فيجتمع فيه الأمران : بغضه وإرادته ولا يتنافيان لاختلاف متعلقهما .

وهذا كالدواء الكريه إذا علم المتناول له أن فيه شفاءه ، وقطع العضو المتآكل إذا علم أنه فى قطعه بقاء جسده ، وكقطع المسافة الشاقة إذا علم أنها توصل إلى مراده ومحبوبه .

بل العاقل يكتفى فى إيثار هذا المكروه وإرادته بالظن الغالب وإن خفيت عنه عاقبته ، فكيف بمن لا يخفى عليه خافية ، فهو سبحانه يكره الشئ وقد يريده لكونه سبباً إلى أمر هو محبوب إليه .

من ذلك أنه خلق إبليس الذى هو سبب فساد الأعمال والاعتقادات ، وسبب لشقاوة كثير من العباد وعملهم بما يغضب الرب سبحانه وتعالى ، وهو السعى فى وقوع خلاف ما يحبه الله ويرضاه ، ومع هذا فهو وسيلة إلى محاب كثيرة لله تعالى ترتبت على خلقه ، ووجودها أحب إليه من عدمها .

منها أنه يظهر للعباد قدرة الله تعالى على خلق المتضادات المتقابلات .

فخلق هذه الذات التى هى أخبث الذوات وسبب كل شر فى مقابلة ذات جبرائيل التى هى من أشرف الذوات وأطهرها وأزكاها وهى سبب كل خير .

كما ظهرت فى خلق الليل والنهار والدواء والداء ، والحياة والموت ، والحسن والقبيح ، والخير والشر ، وذلك من أدل دليل على كمال قدرته وعزته وسلطانه فإن خلق هذه المتضادات ، وقابل بعضها ببعض وجعلها محال تصرفه وتدبيره ، فخلو

العالم عن بعضها بالكلية تعطيل لحكمته وكمال تصرفه وتدبير مملكته . ومنها : ظهور آثار أسمائه القهرية .

مثل : القهار والمنتقم والضار والشديد العقاب والسريع الحساب وذى البطش الشديد الخافض والرافع والمعز والمذل ، فإن هذه الأسماء والأفعال كمالات لابد من وجود متعلقها ولو كان الجن والإنس على طبيعة الملائكة لم يظهر أثر هذه الأسماء .

ومنها : ظهور آثار أسمائه المتضمنة كلأه وعفوه ومغفرته وستره وتجاوزه عن حقه وعتقه لمن شاء من عبيده ، فلولا خلق ما يكرهه من الأسباب المفضية إلى ظهور آثار هذه الأسماء ، لتعطلت هذه الحكم والفوائد .

وقد أشار النبى ﷺ إلى هذا بقوله : « **والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ويستغفرون فيغفر لهم** » .

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

ومنها : ظهور آثار أسماء الحكمة والخبرة، فإن الحكيم الخبير الذى يضع الأشياء مواضعها وينزلها منازلها اللائقة بها ، فلا يضع الشئ فى غير موضعه ولا ينزل فى غير منزلته التى يقتضيها كمال علمه ، وتمام حكمته ، فهو أعلم حيث يجعل رسالاته وأعلم بمن يصلح لقبولها ويشكر له جميل صنعه ، وأعلم بمن لا يصلح لذلك .

فلو قدر عدم الأسباب المكروهة لتعطلت حكم كثيرة ، ولفاتت مصالح عديدة، ولو عطلت تلك الأسباب لما فيها من الشر لتعطل الخير الذى هو أعظم من الشر الذى فى تلك الأسباب .

وهذا كالشمس والمطر والرياح التى فيها من المصالح ما هو أضعاف أضعاف ما يحصل بها من الشر .

ومنها : حصول الطاعات المتنوعة التى لولا خلق إبليس لما حصلت .

فإن طاعة الجهاد من أحب أنواع الطاعة ، ولو كان الناس كلهم مؤمنين

لتعطلت هذه الطاعة ، وتوابعها من الموالاة لله تعالى والمعاداة فيه ، وطاعة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ومخالفة الهوى ، وإيثار محاب الله تعالى والتوبة والاستغفار والصبر ،والاستعاذة بالله أن يجيره من عدوه ويعصمه من كيده وأذاه إلى غير ذلك من الحكم التى تعجز العقول عن إدراكها .

هذا واعلم أن الله تعالى لم يخلق شراً محضاً من جميع الوجوه فإن حكمته تأبى ذلك ، فلا يمكن فى جانبه تعالى أن يريد شيئًا يكون فساداً من كل وجه لا مصلحة فى خلقه بوجه ما ، فإنه تعالى بيده الخير كله ، والشر ليس إليه ، بل كل ما إليه فخير ، والشر إنما حصل لعدم النسبة إليه ، فلو كان إليه لم يكن شراً وهو من حيث نسبته إليه تعالى خلقًا ومشيئته ليس بشر ، والشر الذى فيه من عدم امداده بالخير وأسبابه ، والعدم ليس بشئ حتى ينسب إلى من بيده الخير .

وبهذا يظهر رد الله تعالى على المشركين ، بقوله : **﴿ سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا ﴾** [1] .

وإيضاح ذلك أن أسباب الخير ثلاثة : الإيجاد والإعداد والإمداد .

فإيجاد الشئ خير وهو إلى الله ، وكذلك إعداده وإمداده .

فإذا لم يحدث فيه إعداد ولا إمداد ، حصل فيه الشر .

وهذا يسمى بالتخلية أى إن خلى الله بين العبد وبين نفسه ولم يمده بأسباب الوقاية من الشر وقع فيه .فإن قيل : كيف يرضى لعبده شيئًا ولا يعينه عليه ؟

قيل : لأن إعانته عليه قد تستلزم فوات محبوب له أعظم من حصول تلك الطاعة التى رضيها له .وقد يكون وقوع تلك الطاعة منه يتضمن مفسدة هى أكره إليه تعالى من محبته لتلك الطاعة ، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله : **﴿ ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم ﴾** [2] .

(1) سورة الانعام ; الآية (١٤٨) .

(2) سورة التوبة : (٤٦) .

أخبر سبحانه أنه كره انبعاثهم إلى الغزو مع رسول ﷺ وهو طاعة ، فلما كرهه منهم ثبطهم عنه .ثم ذكر سبحانه بعض المفاسد التى تترتب على خروجهم مع رسول الله ﷺ فقال: **﴿لو خروجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ﴾** [1] أى فساداً وشراً .

﴿ ولأوضعوا خلالكم ﴾ [2].

أى سعوا بينكم بالفساد والشر .

﴿ يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم ﴾ [3].

أى قابلون منهم مستجيبون لهم فيتولد من سعى هؤلاء وقبول هؤلاء من الشر ما هو أعظم من مصلحة خروجهم فاقتضت الحكمة والرحمة أن أقعدهم عنه .

ولا يقال : إذا كان الكفر بقضاء الله وقدره ونحن مأمورون أن نرضى بقضاء الله ، فكيف ننكره ونكرهه ؟ نقول : أولا : نحن غير مأمورين بالرضا بكل ما يقضيه الله ويقدره ، ولم يرد بذلك كتاب ولا سُنة . بل من المقتضى ما يرضى به ، ومنه ما يسخط ويمقت .

ثانيًا : هناك أمران : قضاء الله وهو فعل قائم بذات الله تعالى .

ومقضى وهو المفعول المنفصل عنه المتعلق بالعبد المنسوب إليه .

فالقضاء كله خير وعدل وحكمة نرضى به كله والمقضى قسمان : منه ما نرضى به ، ومنه مالا نرضى به .

فمثلاً : قتل النفس له اعتباران :

فمن حيث قدره الله وكتبه وشاءه وجعله أجلاً للمقتول ونهاية لعمرة نرضى به .

ومن حيث صدر من القاتل وباشره وكسبه وأقدم عليه باختياره وعصى الله بفعله نسخطه ولا نرضى به .

(1) سورة التوبة : (٤٧) .

(2) سورة التوبة : (٤٧) .

فهذا جملة ما يُحتاج إليه - فى القضاء والقدر - من نوّر الله قلبه من المؤمنين الراسخين فى العلم ، فإن العلم علمان معروف للخلق وغير معروف لهم .

فالمعروف : علم الشريعة الذى جاءت به الرسل جملة وتفصيلاً ، أصولاً وفروعًا .

فمن أنكره كان من الكافرين .

وغير المعروف: علم القدر الذى أخفاه الله عن خلقه ونهاهم عن البحث فيه .

فمن ادعى معرفته وترك العمل بظاهر الشريعة اعتمادًا على ذلك فهو من الخاسرين ، فالمؤمن الصادق هو الذى يعمل بما جاء به الرسول ﷺ ، ويفوض علم القضاء والقدر إلى الله عز وجل .

والله تبارك وتعالى أعلم

س:

نريد من فضيلتكم خطبة منبرية يكون موضعها (السجود لله وحده) ؟ جعلنا الله وإياكم من الموحدين الساجدين .

جـ:

الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين ، يارب نسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والسلامة من كل إثم ، والغنيمة من كل بر ، والعصمة من كل ذنب ، لا تدع لنا فى هذا اليوم العظيم ذنبًا إلاغفرته ، ولا كربًا إلا فرجته ، استر عوراتنا وآمن روعاتنا وبارك لنا فى أرزاقنا ، اللهم ارزقنا الحلال وبارك لنا فيه ، وباعد بيننا وبين الحرام إلى يوم أن نلقاك.

اللهم اهد أولادنا وبصرنا بعيوبنا، وأشهد أن لا إله إلا الله لا تدركه الأبصار ولا تحويه الأقطار ولا يؤثر فيه الليل ولا النهار وهو الواحد القهار .

قالوا لأبى بكر الصديق رضى الله عنه : يا أبا بكر بما عرفت ربك ؟

فقال أبو بكر الصديق : عرفت ربى بربى ولولا ربى ما عرفت ربى .

فيقل له : فكيف عرفت ربك ؟

فقال الصديق :العجز عن الإدراك إدراك والبحث فى ذات الله إشراك .

إلهى :

لما علمت بأن قلبى فارغ
مما سواك ملأته بهداك
وملأت كلى منك حتى لم
أدع منى مكانًا خاليًا لسواك

وأشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا وحبيبنا محمدًا رسول الله .

أمرنا أن نكثر من الدعاء ونحن ساجدون لله ، لا سجود إلا لله ، فإذا ما وضعت الجبين على الأرض فأكثر من الدعاء فإن الرسول صلوات ربى وسلامه عليه يقول :« **أقرب ما يكون العبد إلى ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء** » .

ومن هنا قدم السجود على الركوع ، مع أن الركوع قبل السجود، قدم السجود على الركوع فى قوله تعالى : ﴿ **يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين** ﴾[1] . فقدم السجود في الذكر على الركوع مع أن الركوع سابق في الفعل على السجود لأن التقديم هنا تقديم مرتبة وتقديم مكانة لا تقديم مكان ، وهناك فرق بين المكانة وبين المكان فالمكانة معنوية والمكان حسى ، فقدم السجود على الركوع لأن أقرب وضع تكون فيه إلى الله وأنت ساجد فأكثر من الدعاء .

سيدى أبا القاسم يا رسول الله ، يا حبيب الله أشهد أنك بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة ومحوت الظلمة وكشفت الغمة وجاهدت فى الله حق جهاده ،

(١) سورة آل عمران : (٤٣)

أُبتليت فصبرت، وأُعطيت فشكرت ، وقضى الله عليك فرضيت بما قضى الله .

يا سيدى إنا نسير بقفره

زاد الهجير بها وقل الماء

يا سيدى كن للنجاة شفيعنا

يا خير من شهدت له الشفعاء

صلى عليك الله يا علم الهدى ما هبت النسائم، وما ناحت على الأيك الحمائم.

أما بعد :

فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة .

﴿ وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ﴾(١) .

فماذا قال سليمان عندما سمع التقرير الهدهدىّ ؟

أيها الأخوة الأماجد :

أقف عند تقرير الهدهد وعند رد سليمان عليه ، وأهدى هذا الدرس القرآنى إلى حكام المسلمين . فليست الدراسات القرآنيه كلمات تلوكها الألسنة وتنبس بها الشفاه ، إنما الدراسات القرآنية عبر ومن العبر تأخذ المواعظ ، ولا خير فيمن قرأ القرآن بلسانه ، ولم يتدبره بقلبه ، ولم يخش الله عز وجل .

قال الحبيب ﷺ : « **إن أحسن الناس قراءة الذى إذا قرأ رأيته يخشى الله** » .

أيها الأخوة : الهدهد غاضب لماذا ؟

غاضب لله ، ملكة تتربع على عرش اليمن تسجد هى وقومها للشمس من دون الله !

(١) سورة النمل : (٢٤) .

إن فى القرآن الكريم أربع عشرة تزيد واحدة فى سورة الحج ، أربع عشرة من سور القرآن الكريم فى كل سورة منها آية سجود وتزيد سورة الحج آية ، إذا أضيفت يكون مجموع آيات القرآن التى فيها سجود لله (**يسمى سجود التلاوة**) يكون مجموع الآيات خمس عشرة آية إذا قرأت واحدة منها فعليك أن تخر ساجداً لمن رفع السماء بلا عمد . فإذا ما سجدت فإن الشيطان يقول : يا ويلى أُمر ابن آدم بالسجود فأطاع فدخل الجنة وأُمرت بالسجود فأبيت فدخلت النار .

ومن هنا فإن الصحابى الجليل أبا سعيد الخدرى ذهب ذات يوم إلى سيدنا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه يقص عليه رؤيا رآها :

قال أبو سعيد : يا رسول الله رأيت فى المنام كأنى أجلس تحت شجرة فسمعت الشجرة تقرأ سورة (ص) فلما وصلت الشجرة إلى آية السجدة سجدت لله سجدة ، فسمعتها تقول فى سجودها : اللهم اكتب لى بها عندك أجراً وحُط عنى بها وزراً واجعلها لى عندك ذخراً وتقبلها منى كما تقبلتها من عبدك داود .

﴿ الشمس والقمر بحسبان ، والنجم والشجر يسجدان ﴾(١) .

لو سألت العالم من عرشه إلى فرشه ومن سمائه إلى أرضه وقلت له من خالقك ؟ أجابك قائلا :

أنا مخلوق للواحد الديان .

انظر إلى تلك الشجرة

ذات الغصون النضرة

كيف نمت من حبة

وكيف صارت شجرة

فانظر وقل من ذا

الذى يخرج منها الثمرة

ذاك هو الله

الذى أنعمه منهمرة

(١) سورة الرحمن : (٥ ، ٦) .

ذو حكمة بالغة
وقدرة مقتدرة
وانظر إلى الشمس
التي جذوتها مستعرة
من ذا الذي أوجدها
في الجو مثل الشررة
ذاك هو الله الذي
أنعمه منهمرة
ذو حكمة بالغة
وقدرة مقتدرة
انظر إلى الليل فمن
أوجد فيه قمره
وزانه بأنجم
كالدرر المنتشرة
ذاك هو الله
الذي أنعمه منهمرة
ذو حكمة بالغة
وقدرة مقتدرة
انظر إلى المرء وقل
من شق فيه بصره
من ذا الذي جهزه
بقدرة مقتدرة
ذاك هو الله
الذي أنعمه منهمرة
ذو حكمة بالغة
وقدرة مقتدرة

الشجرة سجدت عندما قرأت آية السجدة ودعت الله بدعوات فلما سمع النبي صلوات الله وسلامه عليه رؤيا أبي سعيد الخدري قال له : فهل سجدت أنت يا أبا سعيد ؟لما سمعت الشجرة تقرأ آية السجود في سورة (ص) وسجدت الشجرة فهل سجدت أنت ؟

قال : لا يا رسول الله .

قال له : لقد كنت أنت أحق بالسجود منها .

قال أبو سعيد : فرأيت رسول الله ﷺ يسجد وسمعته في سجوده يقرأ الدعاء الذي قالته الشجرة في المنام.

يا معاشر السادة : لا سجود إلا لله يسجدون للشمس من دون الله .

ومن هنا فإن الإسلام ينهى نهيًا جازمًا عن الصلاة عند طلوع الشمس إلى أن ترتفع، وينهى عن الصلاة عند اصفرار الشمس إلى أن تزول وذلك حتى لا نتشبه بعُبّاد الشمس .

إخوتي :

ماذا قال سليمان للهدهد ؟

وهنا أقول لحكام المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها :

إياكم أن تصدروا قرارات في أوقات انفعالكم فإن صدور القرار وقت الانفعال قد يحطم الأمة من أعلاها إلى أدناها ومن أدناها إلى أقصاها .

قال تعالى : ﴿ ومن يقتل مؤمنًا متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابًا عظيما ﴾ .

سواء قتله بنفسه بأن أطلق عليه النار بيده أو صرح لغيره أن يحكم عليه بالإعدام، فقد حدث أن ثمانية من رجال اليمن قتلوا رجلاً مسلمًا وكان ذلك أيام عمر ابن الخطاب رضوان الله عليه فأمر عمر بقتلهم جميعًا ، بقتل الثمانية وقال عمر :

لو اجتمع عليه أهل صنعاء جميعًا لقتلتهم فيه:

لو اجتمع عليه أهل صنعاء جميعًا لقتلتهم فيه .

اسمع يا كل طاغية جبار ، إلى قول رسول الله ﷺ :

« من أعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوبًا بين عينيه آيس من رحمة الله » .

اسمع إلى قول رسول الله ﷺ : **« من أعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوبًا بين عينيه آيس من رحمة الله » .**

أعانه ، لم يقتل ، إنما أعانه ولو بشطر كلمة ، ولو بنصف كلمة ، أعان على القتل ولو بنصف كلمة جاء يوم القيامة مكتوبًا بين عينيه آيس من رحمة الله .

هذا هو حال الأمة ، إننى أقف كثيرًا عندما قرأ سليمان التقرير .

يا معاشر السادة الأعزاء :

إياكم والانفعالات يا حكام المسلمين ، فالقرارات وقت الانفعال قد تدمر الأمم، قد تدمرها ، ولذلك سأسوق إلى حضراتكم الآن نموذجين من اتخاذ القرارات أحدهما للملك النبى سليمان ، والآخر لسيد الخلق وحبيب الحق محمد ﷺ .

أما سليمان فإنه بعد توقيع القرار أمامه بعد أن قرأ القرار مرة مرة قال: ﴿سننظر﴾ بكل هدوء ثم بعد ذلك قال :

﴿ أصدقت أم كنت من الكاذبين ﴾[1].

مع أن سليمان يعلم علم اليقين أن الطير لا تعرف الكذب ، بل إن ما عدا الإنسان وما عدا الجن لا يعرف الكذب .

أما الذى يعرف الكذب فهو الإنسان والجن .

(١) سورة النمل : (٢٧) .

وأما الشجر والدواب والطير والنجم والكواكب وغيرها من مخلوقات الله لا تعرف الكذب أبدًا ، فمن رأى فى المنام أن حيوانًا يكلمه فليست الرؤيا محتاجة إلى تعبير ، فليأخذ بالكلام الذى سمعه من الحيوان لأن الحيوان صادق ، والطير صادق بل إن الحيوان والطير يرى مالم نر وقد يدرك أمورًا لا ندركها نحن .

أرأيت الزلزال الذى طوّق الصين منذ سنوات وقضى على سبعمائة ألف نفس فى دقائق ، قبل أن تزلزل الأرض زلزالها ، سُمع للخيول صهيلاً عال وللديكة صياح عال ، قبل الزلزال بدقائق لأنها رأت الملائكة التى نزلت لتخسف الأرض ، رأت مالا نرى ، ولقد كان النبى ﷺ يركب دابته ذات يوم فـفزعت به دابته ، فسُئل لم فزعت بك الدابة يا رسول الله ؟ فقال : **« لأنه مرت بقبر يُعذب صاحبه » .**

إدراكات قد لا ندركها ، وقد لا نعلمها بحواسنا ، لأنها محدودة الإدراك .

﴿ أصدقت أم كنت من الكاذبين ﴾

والاستفهام هنا بالهمزة ولا يجوز الاستفهام بهل لأن أم لا تقع بعد هل أبدًا ، فليس فى القرآن الكريم آية تقول هل صدقت أم كنت .

فإن هل تفيد الاستفهام عن النسبة أما أم والهمزة فتفيد الاستفهام عن أحد الأمرين صدقت أم كنت من الكاذبين .

هل تفيد الاستفهام عن التصديق والهمزة تفيد الاستفهام فى القصور والتصديق معًا .

أصدقت ولم يقل أكذبت أم كنت من الصادقين ، إنما قال : أصدقت ، فقدم الصدق على الكذب لأن الأصل فى الإنسان أين كون صادقًا .

فالصدق هو الأصل والكذب عارض ، فإنما قال : ﴿ أصدقت أم كنت من الكاذبين ﴾ .

ولم يقل : أصدقت أم أنت من الكاذبين ؟

لأنه لو قال له أم أنت من الكاذبين لصار الهدهد فى عداد الكاذبين لا يعرف الصدق أبدًا لأن أنت من الكاذبين جملة اسمية تفيد الثبات والاستقرار .

أما أم كنت ، فكان فعل ماض بمعنى : إنك لو كذبت مرة فإنك لن تكذب بعد اليوم فأراد ألا يظلمه فقال: أصدقت أم كنت من الكاذبين ولم يقل : أصدقت أم كذبت ليفيد أن عدد الكاذبين فى هذه الدنيا كثير فجاء بالجمع أم كنت من الكاذبين ، والجمع يفيد الكثرة ، وسليمان مع علمه بأن الهدهد صادق إلا أن اتخاذ القرار يستدعى التحرى الكامل ، فإن فى اتخاذ القرار مصير أمة إن سليمان مع ثقته فى كلام الهدهد ومع علمه بأنه صادق إلا أنه لا يتخذ القرار إلا بعد أن يتأكد كل التأكد.

أنتقل بحضراتكم الآن إلى رافع لواء الوحدانية إلى سيد البشرية إلى حبيب القلوب إلى سيدنا محمد ماذا كان يصنع عند أتخاذ القرار ؟

إن سليمان بن داود قال للهدهد : ﴿ سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين ﴾ .

فماذا قال سيدنا رسول الله لعمر بن الخطاب عند أُتى له بأحد الجناة ؟

أيها السادة الأعزاء :

حتى لا يضيع الوقت من بين أيدينا فإننى ألتقى بسيدى وحبيبى ونور قلبى بعد جلسة الاستراحة .

هنا مدرسة محمد ﷺ **﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شئ عظيم . يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها ﴾**(١).

يوم ترونها تذهل كل مرضعة هكذا بالتاء ولم يقل : تذهل كل مرضع مع أن الذى يُرضع معروف أنه من النساء لا من الرجال فلماذا ذكر تاء التأنيث فى مرضعة مع أنه معروف أن المرضع لابد أن تكون أنثى ؟ كما فى قولنا :

امرأة حائض ولا نقول حائضة لأن الحيض مختص بالنساء فيقال : حائض .

فلماذا قال القرآن : (كل مرضعة) ولم يقل : (تذهل كل مرضع) ؟ كما فى قوله تعالى : ﴿ وحرمنا عليه المراضع ﴾ (٢).

(١) سورة الحج : (١) .
(٢) سورة القصص : (١٢) .

فالمراضع جمع مرضع لا جمع مرضعة لأنه جمع المرضعة مرضعات إنما قال : ﴿ تذهل كل مرضعة ﴾ .

لأن هناك فرقًا بين امرأة مرضع وامرأة مرضعة .

الفرق أن امرأة مرضعًا يعنى أنها ترضع طفلها ثم تنزله عن ثديها فهى مرضع سواء كان الطفل على ثديها يرضع أم نزل الطفل عن ثديها .

أما مرضعة فتفيد أن الطفل على ثديها لم يفارق ثديها فأراد ربك أن يقول : إذا زلزلت الأرض فإن المرضعة تضع رضيعها ولو كان ماسكًا بثديها وذلك من هول الساعة ، تضعه ولو كان على ثديها ، ولو كان ملتقمًا ثديها تضعه ولا تكمل رضاعته وذلك عندما تزلزل الأرض إيذانًا بالنفخة الأولى .

﴿ فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ﴾(١).

لو كانت هناك امرأة مرضعة أى طفلها على ثديها يرضع ، فإنها ترميه من بين يديها من هول ما ترى .

أما لو قال : يوم ترونها تذهل كل مرضع وحذف التاء لكان المعنى يحتمل أن الولد فى ثديها ويحتمل أن الولد على الأرض مفارق يديها ، إنما قيد الرضاعة بالتاء ليفيدك شدة خطورة الزلزلة ، ترميه ولو لم يكمل رضاعته .

﴿ اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شئ عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها ﴾(٢).

لو كان هناك امرأة حامل وزلزلت بها الأرض إيذانًا بقيام الساعة لطرحت ما فى بطنها من هول الساعة ، لأسقطت ما فى بطنها ، أسقطته من هول الساعة .

﴿ وترى الناس سُكارى ﴾ .

(١) سورة الزمر : (٦٨) .
(٢) سورة الحج : (١) .

حيارى من شدة ما يرون . ﴿ وما هم بسكارى ﴾ من الخمر فإنهم لم يشربوا خمرًا . ﴿ ولكن عذاب الله شديد ﴾ .

معاشر السادة :

أوصيني وأياكم بقوله تعالى : ﴿ وتوبوا إلى الله جميعًا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾[1] .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ولى الصالحين وأشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا وحبيبنا محمدًا رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين .

معاشر السادة الأعزاء :

إذا كان سليمان قال لهدهده :

﴿ أصدقت أم كنت من الكاذبين ﴾

فماذا قال سيدنا محمد صلوات ربى وسلامه عليه ؟

ماذا قال وهو زعيم الأمة ونبى الرحمة وماحى الظلمة وكاشف الغمة ؟

اسمعوا : رجل من العرب حمل سيفه وخرج من قبيلة اليمامة متوجهًا إلى مدينة رسول الله وقد حمل السيف بعدما أصبح السيف حادًا يكاد يقطع الهواء ، ودخل المدينة متوشحًا بسيفه فوقعت عينا عمر بن الخطاب عليه .

هذا الرجل اسم ثمامة بن آثال عربى ، حرارة الدماء تتدفق فى شرايينه عزم وصمم العزم على أن يقتل رسول الله ودخل المدينة ورآه عمر ، وعمر عبقرى الفؤاد ، ذكى القلب ، بعيد النظر ، حاد التفكير .

فهب مذعورًا وسأله :

ما الذى جاء بك إلى مدينة رسول الله وأنت مشرك ؟

(١) سورة النور : (٣١) .

قال ثمامة : يا عمر جئت لأقتل محمدًا .

هكذا بكل صراحة .

تقتل محمدًا وتخاطب عمر بهذا الكلام ، وعمر لا يطيق أن تهب نسمة حارة تؤذى رسول الله !

فما كان من عملاق الإسلام عمر إلا أن لبيه بثوبه وأخذ سيفه وربطه فى سارية من سوارى المسجد .

وذهب إلى سيدنا رسول الله ووضع أمامه التقرير السرى فى شأن هذا الرجل .

وكان الرسول يستطيع بجرة قلم أن يقول لعمر :

أذهب واضرب عنقه . وتنتهى المشكلة .

معاشر السادة الأعزاء :

وخرج الرسول من منزله ليرى ذلك الذى جاء ليقتله وعنده تعمد وسبق إصرار وترصد .

أركان الجناية متوافرة .

ونظر الرسول إلى الرجل وعمر قد قيده بالقيود وربطه فى سارية من سوارى المسجد ، وسيفه بيد عمر ، ونظر الرسول إلى وجه ذلك الذى جاء قاتلاً له ، وبعدما ألقى نظر ، على وجهه كان عمر ينتظر بعد آونة أو أخرى أن يصدر القرار من رسول الله بضرب عنقه ، فيقوم عمر فيفصل العنق فى أقل من طرفه عين ولكن الرسول نظر إلى الرجل نظرة ثم بعد ذلك نظر إلى من حوله من أصحابه نظرة وسألهم قائلاً:

« هل أعددتم له طعامًا ؟ » .

هكذا تُقاد الأمم .

هل أعددتم له طعامًا ؟

ولم يستطع عمر أن يرد .

طعامًا ! إنه يريد قتلك يا رسول الله أى طعام تريد ؟

وأى طعام يأكل هذا الذى جاء قاتلاً ولم يأت مسلمًا ؟

وإذا بالرسول يقول :

« اذهبوا فأتوه بلبن من بيتى » .

وحُلبت الشياه ، وجئ باللبن ، وقال الرسول :

حلوا وثاقه ، حلوا القيد الذى قُيد به » .

الرسول يأمر بلبن حليب ليشربه القاتل ويأمر بحل قيوده وعمر يكاد يقف على الجمر تحت أقدامه .

ما هذا ؟

يا سيدى يا رسول الله ما هذا ؟

وإذا عفوت فقادرًا ومقدرًا
لا يستهين بعفوك الجهلاء
وإذا غضبت فإنما هى غضبة
للحق لاضغن ولا شحناء
وإذا سخوت بلغت بالجود المدى
وفعلت مالم تفعل الأنواء
وإذا خطبت فللمنابر هزة
تعرو الندىّ وللقلوب بكاء
وإذا أخذت العهد أو أعطيته
فجميع عهدك ذمة ووفاء
وإذا رحمت فأنت أم أو أب
هذان فى الدنيا هما الرحماء

يا من له عز الشفاعة وحده
وهو المنزه ما له شفعاء
عرش القيامة أن تحت لوائه
والحوض أنت حياله السقاء

وشرب الرجل اللبن وقال له الرسول : قل « لا إله إلا الله » .

قال : لا .

قال له الرسول :

اشهد أن لا إله إلا الله وأنى محمد رسول الله .

قال الرجل : لا أقولها .

فأمر الرسول بإطلاق سراحه وأصدر قراره له بالإفراج فورًا وتوجه الرجل إلى بلده . وعمر يكاد يتميز من الغيظ وإذا بالرجل بعد أن يخطو خطوات بعيدًا عن المسجد يعود إلى رسول الله ﷺ مرة أخرى ويقول له :

يا رسول الله :

أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله .

قال له الرسول :

فلماذا لم تنطق بها عندما أمرتك ؟

فقال له :

لم أنطق بها لأننى كنت تحت يديك فخشيت أن يقال إننى أسلمت خوفًا منك ، أما وإنك قد أطلقت سراحي فقد أسلمت ابتغاء مرضاة الله رب العالمين .

يا معاشر السادة :

يقول ذلك الرجل :

عندما دخلت المدينة لم يكن لدى نفسي أبغض من محمد .

ففارقتها وليس على وجه الأرض أحد أحب إلى قلبي من رسول الله .

هكذا تقاد الأمم .

هكذا تتخذ القرارات .

لا انفعالات ولا أوقات غضب ولا حزازات ولا شحناء .

اللهم أعد المسجد الأقصى إلى ديارنا ، اللهم ثبت على الإيمان قلوبنا، اللهم وحد صفوفنا، اللهم اهد شاردنا، اللهم أيدنا بالحق وأيد الحق بنا ، اللهم اشف مرضانا، وارحم موتانا ، واهلك أعداءنا ، واستر عوراتنا، وآمن روعاتنا، وبلغنا مما يرضيك آمالنا ، اللهم إنى أسألك أن تنصر الإسلام وتعز المسلمين، اللهم ارفع راية الإسلام ، اللهم وحد قلوب المؤمنين ،

أكثروا من الصلاة والسلام على سيدى وحبيبى ونور قلبى محمد طب القلوب ودوائها وعافية الأبدان وشفائها ونور الأبصار وضيائها .

﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ .[1]

تم بحمد الله تعالى

الشيخ

عبد الحميد كشك

(١) سورة النحل : (٩٠) .

الفهرس

اسم الموضوع	رقم الصفحة
حديث عن النار	٦٦
حديث عن الجنة	٧٠
هل الجنة خالدة دائمة وكذلك النار ؟	٧٤
حديث عن رؤية الله تعالى	٧٥
حديث عن القضاء والقدر .	٧٨
خطبة نبوية عن (السجود لله وحده) .	٨٨
الفهرس	١٠٣